

٢/٢٠١٢
هل للشيطان سلطان عليك؟
www.christianlib.com
يوحنا ذهبي الفم



حضرة صاحب القداسة الأنبا شنودة الثالث
بابا الاسكندرية وبطـــريرك الـكرازة المرقسية

مترجمـة عن

The Writings of :
Niciene & Post - Niciene Fathers
Series 2 - Vol. 9 .

المقال الأول

بين العناية الإلهية وظلم الشياطين (1)

رد على القائلين بأن الشياطين تحكم شئون البشر، وعلى المتضايقين بسبب تأديب الرب، وعلى المتضايقين بسبب رخاء الأشرار وتعب الأبرار.

(1) العنوان الأصلي للمقال « رد على القائلين بأن للشيطان سلطان علينا ».

الحب الإلهى وآثار كسر الوصية

الله كما اختبرته الكنيسة « صانع الخيرات » ، لهذا فهى لاتكف عن أن تعلم أولادها فى كل مناسبة ، فى أفراح أو أحزان، فى صلوات جماعية أو صلوات خاصة ، أن يصلوا إلى أبيهم قائلين « فلنشكر الله صانع الخيرات » .

الله صانع خيرات ، إذ خلقنى على صورته ومثاله ، أوجد العالم وما فيه من أجلى ، ولم يدعنى معوزاً شيئاً من أعمال كرامته وفتح لى الفردوس لأتنعم .

الله صانع خيرات ، إذ وهبنى وصية ، هى فى حقيقتها بركة من الرب نحوى، لأننى بدونه ليس لى وجود . فربطنى به ووهبنى بطاعتى له أن تلتصق الصورة (أنا) بالأصل (الله) ، فلا أستقل بذاتيتى التى هى العدم ...

الله صانع خيرات ، إذ أحبنى فصرت أسير محبته ، لذلك سمح لى بالوصية كعهد وميثاق أعبر فيه عن حبى له كما أحبنى هو أولا ...

الله صانع خيرات ، إذ كشف عصيانى وكبريائى عليه أعماق حبه لى !!

الخطية الأولى ... بل وكل خطية ... تتركز فى أمر واحد ، هو أن يستقل الانسان عن الله ليكون لذاته كياناً خاصاً ... رأى الانسان ـ فى لحظات ضعفه ـ أن يتحرر من أبوة أبيه السماوى ، وأن يهرب من لجة محبة الله ، لأنه فى ظلمته الذاتية لا يطيق أن يعاين النور . وفى بغضه لايقدر أن يفهم الحب !!

أقول ، ان الانسان فى عصيانه على الله ،ورغبته فى الاستقلال عن مصدر سعادته وشبعه وحياته . سقط تحت نير الخطية ، ونال العقوبة ... هى فى الحقيقة ليست عقوبة من قبل الله ، لأن الله حب ويحب الانسان حتى فى لحظات ضعفه ، إنما هى ثمرة طبيعية ذاقها الانسان بقبوله للخطية .

فالخطية التى اختارها الانسان ، قدمت له ما عندها وهو :

(ا) حرمان : حرمان من السلام والفرح والخير ، حرمان من الفردوس ، وحرمان من الشبع حتى من البركات الأرضية .

(ب) ظلم : الخطية خاطئة ، لا تعرف لها قانون إلا قانون الظلم وعدم العدالة .

(ج) الموت : الخطية هى انفصال عن الله مصدر الحياة .

ماذا فعل الله بنا ؟

رأى الله صنعة يديه قد فسدت ، إذ حملت نفسها بنفسها حملا هى غير قادرة عليه .

والله الذى وهب الانسان حرية الإرادة لا يجبر الانسان على السلوك فى طريق معين ، وفى نفس الوقت لا يمنع الانسان من حمل آثار الخطية ما دام قد قبل الخطيئة ذاتها . ولكنه كأب حنون وراع صالح صانع خيرات ، حول الشر ليكون فرصة لقبول الخير .

فمن جهة الموت : صار موت الانسان بالخطية فرصة يكتشف فيها الانسان أعماق حب الله ... لأنه « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لايهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » . « لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات فى الوقت المعين لأجل الفجار . فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار . ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت . ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا » رو ٥ : ٦ - ٨ .

هذا ما صنعه الله بنا إزاء الخطية ، كشف لنا أعماق محبته لنا ... وكما يقول القديس اغريغوريوس الثيؤلوغوس « حولت لى العقوبة خلاصاً . كراع صالح سعيت فى طلب الضال. كأب حقيقى تعبت معى أنا الذى سقط. ربطتنى بكل الأدوية المؤدية إلى الحياة» . لقد مات يسوع وقام ليقيمنا معه ويجعل موت الجسد شهوة للانطلاق إلى الفردوس .

ومن جهة الحرمان... حرم الانسان من السلام الداخلى والفرح الحقيق الدائم ... وحرمانه هذا جعله - إن تعقل - أن يدرك أنه لا سلام ولا فرح له إلا بقبوله للعودة إلى الأحضان الإلهية .

والخطية حرمته من الفردوس . . . فصار ذلك بعناية الله لخيره ، لأنه لو بقى آدم وبنيه فى الفردوس يخطئون ... أى رجاء بعد لهم ؟! لكنهم طردوا ... وفتح أمام أعين قلوبهم الرجاء فى نوال فردوس سماوى غير منطوق به ... يستطيع أى إنسان ولو كان لصاً منبوذاً من العالم ، معلقاً على الصليب ، فى آخر نسمات حياته ، أن يغتصبه !!

وحرمت الخطية الانسان من الشبع من البركات الزمنية ، فمهما نال من مال لا تشبع نفسه ومهما تمتع بالشهوات لما شبعت

شهواته... بل وكثيراً مايحرم حتى مما يبدو ضروريا.. وفى هذا كله يعلن الله للإنسان ، أنه كصورة له لا شبع له إلا باتحاده مع خالقه ... أن النفس السمائية لا تشبع من الارضيات ، ولو وهب لها الأرض وما عليها ... لكنها تطلب ما هو سمائى !!

ومن جهة الظلم ... فإن الانسان بسقوطه تحت ناموس الظلم الذى لايعرف العدالة ولا القانون . . . بل هو أشبه بنوع من الفوضى . فقد يولد الانسان ليجد نفسه أحياناً وسط عائلة فقيرة أو ليجد جسده مبتلياً بمرض وراثى لا ذنب له فيه ، أو مشوه بعاهة تفقده سلامة صحته وسلامة نفسيته ... وقد يجاهد وفى جهاده يمرض فيفقد ثمرة جهاده ولاينال من طموحه ما يناله غيره ، وقد يفقد أحد أفراد العائلة فيحيا فى بؤس محروماً من الأبوة أو الأمومة أو البنوة .

هكذا حتى يظن الانسان كأن أموره تسيّرها الصدفة المحضة أو تخططها يدى الشيطان القاسى الذى لايعرف للرحمة فهماً .

فإن كان الانسان قد أخضع نفسه بنفسه للظلم بعينه لكن الله كأب مترفق وخالق مدبر للمسكونة لايترك أولاده فى يدى عدو قاس كما يظن البعض .

لقد سمح بالظلم ..لأن الانسان اختار الظلم لنفسه ، ولكن رغم ما للظلم من عدم تنظيم ، إلا أن الله حول الظلم ليكون بركة للإنسان ... جعله مجالا يبحث فيه الانسان عن خلاص نفسه ، لا ليهرب من الظلم المادى أو الأدبى أو الاجتماعى ، بل من ظلم أبشع وأبقى هو الوجود فى حضرة الشيطان ، فى الظلمة الأبدية بعيداً عن الله العدل المطلق !!

وفيما نراه ظلماً ... إذ بيد الله المترفقة تمتد وتعتنى بنا فى كل صغيرة وكبيرة ... يهتم بحياتنا الروحية أولا ثم الجسدية ، الأبدية أولا ثم الزمنية.

فالانسان وسط ظلم الخطية لم يحرم من العنايه الإلهية ، بل بالعكس يسمح بالفقر المادى أو المرض الجسدى أو الحرمان المعنوى أو الأدبى أو الاجتماعى . لترتد النفس إلى خالقها تسأل وتطلب وتقرع ... وهنا تأخذ . تأخذه مشتهى الكل ، تنال وقفة جميلة فى حضرة الرب ، بل تنال عمل الله فيها ...

وهكذا يحرم الجسد لكى تشبع النفس . ويتألم الانسان هنا ليمسح الرب دموعه هناك !!

وقد يسمح الله بالحرمان لكى يتزكى الانســـان فى إيمانه وتسليمه حياته فى يدى الرب وعدم تذمره ... الخ .

لقد نظر الرسول هذا فقال « يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء » رو ١١ : ٣٣ . إذ يحول الآلام فى يديه المباركتين إلى بركات مستترة وعلامات حب يدركها الانسان إن أراد ... إذ « قلب الانسان يفكر فى طريقه والرب يهدى خطواته » أم ١٦ : ٩ .

انه لازال الله المترفق بأولاده ، إذ به نحيا ونتحرك ونوجد (أع ١٧ : ٢٨). عيناه ترقبان آلام الانسان إذ يقول « انى رأيت مذلة شعبي أنا علمت أوجاعهم » حز ٣ : ٧ . مؤكداً للإنسان « عيني عليك من أول السنة إلى آخرها » وكما يقول الكتاب المقدس « هو يعتنى بكم » ١ بط ٥ : ٧ . « الرب لى معين فلا أخاف » عب ١٣ : ٦ ، « حفظت عنايتك روحى » أى ١٠ : ١٢ .

أكثر من هذا ، أن يسوع إذ رأى الظلم يهدد كيان البشرية ويفسد سلامهم ويملأهم يأساً ... لم ينزع الظلم لكن حمل ظلم البشرية بأجمعها - فى كل الأجيال - فى جسده ... إذ وهو بار حمل عار الصليب من أيدى أثيمة لا ترحم ولا تفهم !! فلم يعد الظلم أثر من آثار الخطية ، بل علامة حب واحتمال ... أحبنا فاحتمل الظلم من أجل أحبائه ... فصار كل من يريد أن يتحد بيسوع

المظلوم يقبل الظلم ويشتهيه .... ومهما بلغ الظلم الذى نحمله فإنه لايقارن بالظلم الذى كيلته البشرية لخالق الكل !!

✝ ✝ ✝

هذا هو ما أراد أن يوضحه ذهبي الفم فى رده على القائلين بأن شئون البشرية تسير وفق رغبة الشيطان .

الرب قادر أن يكشف عن عيوننا حتى ندرك حب الله لنا وترفقه بنا ، عندئذ ندرك أن كل الامور تعمل معاً للخير الذين يحبون إسمه[1].

✝ ✝ ✝

---

(1) هذه المقدمة السابقة مأخوذة عن كتاب «الحب الإلهى» بتصرف.

العناية الإلهية واهمال الانسان

تقـــديم (١)

الله محب البشر ، قـــدم للإنسان كل شىء حسناً ، لـكن الانسان أفسد عطايا الله الحسنة ... فخسر الفردوس وفقد وحدة اللغة . . . وفى هذا كله لا زال الله يحب الانسان ويحـول ثمـرة شره إلى خير .

العطية صالحة . . . والانسان افسدها

... كان للبشر لسان واحـد كما كان للـكل طبيعة واحدة ... لـكن متى حدثت بلبلة الالسن ؟!

حدث هذا عندما أهمل الانســان فى العطيــة ... فـكما يظهر حنو لطف الله (السيد) باعطائه إيانا لســان (لغـة) واحـد ، كذلك يظهر بلادة العبيد ببلبـلة ألسنتهم (يوم فـكروا فى بنـاء برج بابل) .

---

(١) من وضع المترجم .

لقد قمت بحذف مقدمة المقال التى كـتبها ذهبى الفم ، إذ يلخص فيها العظة السابقة عن «الإتضاع» . ويتكلم عن شوقهم لقبول الـكلمة ، مطالباً بأن يأخذ كل قدر احتماله وشوقه .

لقد رأى السيد مقدما أننا سنفسد العطية، لكنه وهبنا إياها .. وهنا يظهر أن الله لم يحرمنا من العطية بل نحن الذى أفسدناها. واننا (حتى بعد افسادنا إياها) نلنا عطايا أعظم من تلك التى خسرناها، فشرفنا بالحياة الأبدية بدلا من الضيق، وأعد لنا ثمر الروح لينمو فى نفوسنا عوض الشوك والحسك.

الله يعتنى بنا رغم افسادنا عطاياه

لا شىء أتفه من الانسان، ومع ذلك لم يتكرم أحد مثله!

لقد كان آخر المخلوقات العاقلة ... لكن هوذا القدم صار رأساً، وبواسطة الباكورة (المسيح) صرنا إلى العرش الملكى (الإلهى).

إنه يشبه انساناً جواداً غنياً، نظر إنساناً عريانا هارباً من الدمار ... فاستقبله بين يديه، وألبسه ثوباً بهياً، وقاده إلى أعلى الكرامات ... هكذا صنع الله بطبيعتنا.

لقد فقد الإنسان كل ما كان لديه (من هبات):

فقد حقه فى التكلم بحرية،

فقد شركته مع الله،

خسر وجوده فى الفردوس ،

عدم حياته النقية ... لقد خرج من الدمار عرياناً ! لكن الله استقبله ، وألبسه للحال ثوباً ، واحتضنه بين يديه ، وقاده تدريجياً نحو السماء ! ومع هذا لم يكن للإنسان فى دماره عذراً بالمرة ، إنما نتيجة اهماله كبحار ، وليس بفعل شدة الرياح ...

ومع ذلك لم ينظر إلى هذا كله... إنما نحن من قبل عظم الكارثة تعطف من أجل ذلك الذى تحطمت سفينته داخل الميناء .

لقد استقبله بحب ، كما لو أن ما حدث من دمار تم فى بحر مفتوح (أى كما لو كان آدم له بعض العذر) .

لقد كان سقوطه فى الفردوس بمثابة هلاك للسفينة داخل الميناء ...لانه لا يوجد فى الفردوس حزن ولا اهتمام ولا أتعاب ولا مضايقات ولا أمواج للشهوة ... ما كانت توجد مثل هذه التى تهاجم طبيعتنا ، ومع هذا سقطت طبيعتنا وتدهورت !

الشيطان يخدع والله يحب

رأى الشيطان أن سفينة آدم أى نفسه موثوقة بالأعمال الصالحة ، فجاء وثقبها وذلك بمجرد الحديث معه (فى شخص حواء

عن طريق الحية) ، وكأنه فعل هذا بعدة حربية حديدية صغيرة ، فافرغ ما بها واغرق السفينة ذاتها... وذلك كما يفعل (القراصنة) الأشرار الذين يعملون فى البحر ، إذ غالبا ما يثقبون السفن بعدة حربية صغيرة حديدية ، وبهذا يسمحون (لمياه) البحر أن تدخل السفينة من أسفل ...

لكن الله جعل الربح أعظم من الخسارة ، إذ أحضر طبيعتنا إلى العرش الإلهى . لذلك يصرخ بولس قائلا « أقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع . ليظهر فى آخر الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا » أف ٢ : ٦ ، ٧ .

ماذا تقول « ليظهر فى آخر الدهور » ؟ لقد حدث فعلا ... فكيف تقول « ليظهر فى آخر الدهور الآتية » ؟ ألم يظهر الآن لقد ظهر فعلا ، ولكن ليس لكل الناس ، بل لى أنا المؤمن ، أما غير المؤمن فلم ينظر بعد هذا العجب . لكن فى ذلك اليوم تتقدم كل البشرية لترى وتتعجب مما حدث ، أما بالنسبة لنا فيزداد الأمر وضوحا .

نحن الآن نؤمن، لكن السمع والنظر لا يضعاننا فى التعجب على مستوى واحد . وذلك كما فى حالة الملوك ، فإننا نتعجب حقاً

عندما نسمع عن الحلة الأرجوانية والتاج والثوب الذهبي والعرش الملكي ... لكن يزداد اختبارنا بالأكثر عندما ترتفع الأحجبة ونراه جالسا على كرسي الحكم العظيم .

هكذا أيضا بالنسبة للإبن الوحيد ، عندما ترتفع الأحجبة السمائية ويأتي ملك الملائكة ومعه الجنود الملائكية تحيط به ... عندئذ نرى عجبا أكثر ...

تأمل معي ماذا نرى ؟! ان طبيعتنا (الجسد الذي أخذه منا) صار محمولا بواسطة الشاروبيم ، وكل قوات الملائكة تحيط به !

محبة غير منطوق به

لكن تطلع معي أيضا حكمة بولس ، كيف كان يبحث عن عبارات يوضح بها لنا عن لطف الله ! لأنه لم يقل مجـــرد كلمة « نعمة » أو « غنى » بل قال « غنى نعمته الفائق باللطف علينا » أف ٢ : ٦ ، ٧ . بل ومع هذا لازال تحت العلامة (أي لا تقدر العبارات مهما بلغت أن تعبر عنها كما هي) ، وذلك كمن يقبض بأيد كثيرة على جسم ذلج فيفلت منا . هكذا نعجز عن أن نقبض على الحب الإلهي المترفق مهما بلغت العبارات التي نحاول أن نلحق به . فعظمة حنو الله الفائقة تحير نطقنا .

هذا ما اختبره بولس نفسه ، إذ رأى أن قوة الكلمات تعجز أمام عظمة حنو الله ، لذلك إكتفى بقوله ... « فشكراً لله على عطيته التي لا يعبر عنها » ٢ كو ٩ : ١٥ . لأنه لا يقدر كلام أو عقل ما أن يوضح اهتمام الله المتحنن . لهذا يقول ان التعبير عنه فائق ، وفى موضع آخر يقول « وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم » فى ٤ : ٧ .

† † †

العناية الإلهية والحرمان

علامات عناية الله بنا

كما كنت أقول قبلا أن هذين الطريقين لإعلان (حب الله) وجدا فى وقت واحد :ـ

الأول : أن الله لم يسلبنا العطية التى خسرناها .

الثانى : أن الأشياء الصالحة التى وهبت لنا أعظم حتى من تلك التى فقدناها .

لكننى أريد أن أوضح أمراً ثالثاً ... ما هو ؟ انه حتى وإن لم نعطى بعد تلك الأشياء التى هى أعظـــم من الأولى التى فقدناها ، بل نزع عنا ما قد وهبنا ... فإنه فى هذا أيضاً الكفاية لإعلان عناية الله المترفقة بنا .

فعلامة حنو ترفق الله العظيم ، ليس فى العطاء فحسب ، بل وفى سحب ما قد أعطانا .

وإن أردت أوضح لك ذلك فى حالة (الطرد من) الفردوس ـ

١ ــ حب الله والطرد من الفردوس

لقد وهبنا الله الفردوس . وهذا من صنع عنايته المتحننة . ونحن اظهرنا عــــدم استحقاقنا للعطية ، وهذا نتيجة اهمالنا الخاص بنا .

لقد نزع العطية من أولئك الذين صاروا غير مستحقين لها . وهذا نابع عن صلاحه...

لكن قد يقول قائل : وأى صلاح هذا حتى ينزع العطية ؟!

انتظر فستسمع بما فيه الكفاية .

قايين ... والطرد من الفردوس

تأمل ماذا يكون موقف قايين لو بقى فى الفــــردوس وهو سافك دم ؟!

تأمل لو أنه استبعد عن مسكنه ،وحكم عليه بالضيق والتعب وحمل إكليل الموت على رأسه ، ووجد نفسه يتلمس آثار غضب الله الناجم عن كارثة أبيه ... وأنه قد ربط فى شر عظيم كهذا حتى أنه يجهل الطبيعة فيذى من هو مولود مثله ويقتل من لم يرتكب

شراً ويقبض على أخيه ويلطخ يده بالدم ، وعندما يريد الله أن يهدأ من الأمر إذ به يرفض الخضــوع مقاوماً خالقه محتقراً والديه . . . تأمل ماذا كان الأمر لو حــدث هـذا كله فى الفردوس ؟! .

حواء ... والطرد من الفردوس

أتريد أيضاً أن تتعلم من والدة هذا الانسان أيضاً كيف كان الطرد من الحياة فى الفردوس له نتائجه الحسنة ؟! قارن بين حواء قبل الطرد وبعد الطرد .

قبل الطرد . كانت تنظر إلى الشيطان المخادع وإبليس الشرير على أنه يمكن تصديقه أكثر من وصية الله . فما أن نظرت الشجرة حتى وطأت تحت قدميها وصية الله .

لكن بعد الطرد من الفردوس ، تأمل كيف نمت حواء إلى حال أفضل وحكمة أعظم ، لأنها عندما حملت قالت « اقتنيت رجلا من عند الرب » تك ٤ : ١ . لقد هربت إلى السيد (الرب) تلك التى كانت من قبل تزدرى به ، فلم تنسب حبلها إلى مجــرد الطبيعة ، ولا نظرت إلى انجابها (ابنـاً) على أنه نتيجة طبيعية

للزواج ، بل أدركت رب الطبيعة ، وعرفت كيف تقدم التشكرات للرب من أجل ولادتها الطفل الصغير .

هذه التي قبلا خدعت زوجها ، صارت تعلم حتى ابنها الصغير وتعطيه إسما (شيث) قادر على تذكيرها بعطية الرب .

ومرة أخرى عندما حملت بآخر ، قالت « الله قد وضع لي نسلا عوضاً عن هابيل لان قايين كان قد قتله » تك ٤ : ٢٥ .

لقد تذكرت المرأة مصيبتها ولم تعد بعد غير صابرة ، بل تقدم الشكر لله وتلقب الطفل الصغير بعدما نالته كعطية ، منعشة إياه بالمادة (الاسم) التي تعلمه على الدوام .

هكذا فإن الله إذ يحرم ، إنما يقدم نفعاً أعظم ! !

طردنا ... لكي يردنا اليه

قد يقول قائل: إن كان الطرد من الفردوس مفيداً ، فما الداعي لاعطائه لنا منذ البداية ؟!

ان الطرد من الفردوس صار مفيداً للانسان بسبب إهماله . فلو أن (أبوينا) كانا منذ البداية حذرين على نفسيهما ، وعرفا

سيدهما ، وعرفا كيف يقمعان نفسيهما ويبقيان فى حدودهما ، ليبقيا فى كرامتهما . أما وقد إزدريا بالعطية التى وهبت لهما ، فقد صار طردهما لمنفعتهما .

لأنه ما هو الدافع الذى جعل الله يعطيهما (الفردوس) منذ البداية ، إلا لكى يعلن حنو ترفقه ، إذ أعد لنا أن يحضرنا إلى شرف عظيم . لكننا نحن الذين كنا السبب فى التأديب والعقاب من كل جانب ، طاردين أنفسنا بسبب استهتارنا بالعطايا التى وهبت لنا .

فكما لو أن أبا عطوفاً أسكن ابنه فى البداية معه فى منزله ، ليتمتع بكل ما لأبيه ، ولكنه إذ وجده غير مستحق للكرامة يطرده من مائدته ويبعده عن أنظاره ، بل وأحياناً يطرده من بيت الأبوة ، حتى يعانى من الطرد ، وبهذا الازدراء وتلك الإهانة يصير إلى حال يظهر فيها نفسه أنه مستحق للعودة وأخذ ميراث أبيه ... هكذا صنع الله معنا .

لقد أعطى الفردوس للإنسان ، وعندما أظهر الانسان عدم استحقاقه طرده ، حتى يصير ببقائه خارجاً وبإهانته إلى حال أحسن (يظهر توبة) ويقمع نفسه أكثر ، فيستحق العودة . وهكذا

عندما صنع هذا وصار فى حال أفضل ، أعاده مرة أخرى قائلا « إنك اليوم تكون معى فى الفردوس » لو ٢٣ : ٤٣ .

هل رأيت كيف انه ليس فقط إعطاء الفردوس بل وطردنا منه هو علامة عظم إهتمام مملوء ترفقاً ! ! فلو لم يعانى الانسان الطرد من الفردوس ما كان يمكن أن يظهر مستحقاً له مرة أخرى !

✝ ✝ ✝

٢ — العناية الإلهية وبلبلة الألسن

بلبلة الألسن (١)

« وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة ... وقال بعضهم لبعض هلم نصنع لبناً ونشويه شياً . فكان لهم اللبن مكان الحجر وكان لهم الحمر مكان الطين وقالوا هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء ، ونصنع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه كل الأرض . فنزل الرب لينظر المدينة والبرج الذى كان بنو آدم يبنونهما . وقال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل . والآن لايمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه . هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لايسمع بعضهم لسان بعض ... تك ١١ .

بلبل ألسنتهم حتى لا يكمل شرهم

لنتمسك بهذا البرهان (السابق) فى كل شىء ، ولنطبقه فى الأمر المعروض علينا ... (بلبلة الألسن) .

---

(١) لم يرد فى أقوال يوحنا ذهبى الفم نص الكتاب المقدس . وقد أوردته حتى يسهل على القارىء متابعة أقوال القديس .

لقد وهب الله البشرية أن تنطق بلسان واحد، وهذا من قبيل حبه وترفقه بهم. غير أنهم استخدموا العطية استخداماً غير لائق، بل بغباوة أخطأوا. لهذا عاد الله وسحب العطية منهم.

فإذ كان لهم اللسان الواحد، سقطوا فى غباء عظيم راغبين فى بناء برج إلى السماء. ولو لم يؤدبهم (الله) فى الحال لما كفوا عن رغبتهم فى البناء لعلهم يصلوا إلى السماء... وإذ كان بالحق يستحيل هذا عليهم، لكنه ما كان يمكن أن تزول أفكارهم الشريرة نحو تنفيذ الخطة. هذا كله نظره الله مقدماً ففرقهم إلى ألسنة متباينة...

تأمل معى فى حنو ترفقه. انه يقول « هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهم ابتدأوا بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه » تك ١١ : ٦. فإنه ما الداعى فى ألا يبلبل الألسنة إلا بعدما يدافع عن تصرفه كمن يحاكم فى ساحة قضاء؟! مع أنه لا يقدر أحد أن يقول له لماذا يفعل هذا؟!

نعم انه كان حراً فى أن يفعل ما يشاء، ومع هذا فقد قدم حساباً، مقيماً دفاعاً، معلماً إيانا النبل والحب. لأنه إن كان السيد يدافع عن (تصرفاته) أمام عبيده، حتى عندما أخطأوا

فى حقه ، فكم بالأولى بنا نحن أن نظهر تصرفاتنا أمام الغير حتى وإن أخطأوا فى حقنا خطأ جسيماً ! !

أنظر على الأقل كيف دافع عن نفسه قائلا « هوذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهم ابتدأوا بالعمل » تك ١١ : ٦ . وكأنه يقول : لا يتهمنى أحد عندما يرى انقسام الألسن . ليته لا يظن أحد أن هذا التباين قد حدث منذ البداية ، لأنه « هوذا شعب واحد ولسان واحد » ولكن هم الذين لم يحسنوا استخدام العطية .

ولكى تفهم كيف لم يكن يقصد أن يؤدب بقدر ما كان يقصد اصلاحهم فى المستقبل ، اسمع ما ورد بعد «والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه » تك ١١ : ٦ . وكأنه يقول بأنه إن لم يوقع التأديب الآن ويوقف جذور خطاياهم لن يكفوا عن الشر ، لأن قوله « لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه » تعنى كما لو أنهم مقدمون على القيام بأعمال أخرى أكثر شراً . لأن هذا الأمر هو شر ، إن بدأوا فيه لا يوجد ما يمنعهم عن العمل ، بل يكونون كالنار التى متى لحقت بالخشب ارتفع اللهب إلى علو غير منطوق به .

هل رأيت كيف كان الحرمان من وحدانية اللغة من قبيل حنو الله ؟ ! لقد جعلهم مختلفى اللغة حتى لا يسقطوا فى شر عظيم !

تطلع معى إلى هـذا البرهان ، وليكن ثابتاً فى ذهنك غير متزعزع : ان الله صالح ومحب ليس فقط عندما يعطى عطايا ، بل وعندما يؤدبنا أيضا . فإنه حتى تأديباته وعقوباته هى من قبيل جوده . ومظهر عظيم من مظاهر عونه لنا .

فإن رأيت مجاعات أو كوارث أو قحط وامتناع مطر أو تقلب فى الجو أو غير ذلك من الامور التى تؤدب البشرية ، فلا تتضايق ولا تيأس ، بل أعبد الله الذى سببها ، وتعجب من اهتمامه المملوء حنواً . فإنه يصنع هذا لتأديب الجسد لأجل سلامة الروح .

قد يقول قائل : هل الله يصنع هذه الامور ؟ . . .

انى لا أقول بهذا زهواً ، بل مستعيناً بالنبى الذى يصرخ قائلا « تحدث بلية (شر) فى مدينة والرب لم يصنعها » عا ٣ : ٦ . وهنا كلمة (شر) تعبير غامض ، أريدكم أن تفهموا بدقة حتى لا تخلطوا بين المعانى وتسقطوا فى تجديف بسبب غموض اللفظ .

† † †

٣ـ العناية الإلهية والتأديب

هل التاديبات شر ؟

يوجد شرهو بالحقيقة شر : زنا ، ودعارة . وطمع ،وغير ذلك من الأمور المهلكة غير المحصية ، هذه التى تستحق توبيخا صارماً وعقاباً عنيفاً .

ويوجد شـــر ، هو بحق ليس بشر ، إنما يدعى كذلك : المجاعات ، والكوارث ، والموت، والمرض ، وما على شاكلته. وهذه ليست بشرور ، إنما تدعى كذلك فلو أنها شرور ما كان يمكن أن تكون مصدراً لخيرنا ، إذ تكبح كبرياءنا وتنخس كسلنا وتلهب غيرتنا وتزيد يقظتنا . وكما قيل « إذ قتلهم طلبوه ورجعوا وبكروا إلى الله » مز ٧٨ : ٣٤ .

لقد دعى ما يؤدبهم به وينقيهم ويشعل غيرتهم ويقودهم إلى حب الحكمة انه شـر . . . ! وهذا ليس من عمل الله بل نتيجة اختلاق إرادتنا . . . وهو يدعوه (شراً) من قبيل آلامنا التى نتحملها فى التأديب .

فالتأديبات ليس شر من حيث طبيعتها ، بل من وجهة نظر

الانسان ... وهكذا يدعوها الله أيضاً شراً من حيث أنها وجهة نظـــرنا .

هذا ما أوضحه الله فى أشعياء قائلا « أنا الرب... صانع السلام وخالق الشر » أش ٤٥ : ٧ .

وهذا ما أشار إليه السيد المسيح أيضا، قائلا لتلاميذه «يكفى اليوم شره» مت ٦ : ٣٤ ، أى أحزان اليوم ومآسيه .

إنه من الواضح إذاً من كل الجوانب ، انه يدعو التأديب شراً،ويوقعه علينا ، مقدماً لنا جانباً عظيما من عنايته.

امثلـــة

١ - الطبيب : الطبيب لايمدح فقط عندما يوصى المريض بالذهاب إلى الحدائق والمروج أو حتى الحمامات وأماكن السباحة ولا عندما يقدم للمريض مائدة حسنة مملوءة ، بل ويمدح أيضا عندما يأمره بالامتناع عن الطعام مثقلا عليه بالجوع ، ويتعبه بالعطش ، ويأمره بعدم مغادرة فراشه ، جاعلا من منزله سجناً له مانعاً إياه من النور ، طالباً أن تظلل حجرته بستائر ، بل وأيضا عندما يقطع ويكوى ويقدم أدوية مرة ... هو أيضا طبيب .

فكيف يكون من الصواب أن تدعو ذاك الذى يصنع هذه (الشرور) طبيبا ، بينما تجدف على الله إن إستخدم شيئاً من هذا ، فى وقت من الأوقات ، متى جلب مجاعة أو موتا ، رافضا عنايته فى كل شىء ؟! مع أنه الطبيب الحقيق وحده للأرواح والأجساد .

على هذا الأساس كثيراً ما يقدم لطبيعتنا المنغمسة فى الترف وهى تعانى من حمى الخطية ، الاحتياج والجوع والموت وغير ذلك من الضيقات الأخرى ، تلك الأدوية التى يعرف الله أنها تشفينا من المرض .

قد يقول قائل : ولكن الفقير هو وحده الذى يعانى من الجوع .

الله لايؤدب فقط بالجوع ، بل هناك طرق أخرى كثيرة لاحصر لها . فذاك الذى فى فقر يؤدب بالجوع ، والغنى الذى فى ترف يؤدب بالمخاطر والأمراض والموت المبكر . فإن الله لديه مصادر وأدوية كثيرة تستخدم لخلاصنا .

٢ - القضاة : وهذا أيضا ما يصنعه القضاة . فهم لايكرمون

سكان المدينة ويكالونهم فحسب، ولا يقفون عند مجرد تقديم عطايا بل وغالباً ما يصلحونهم أيضا (بالتأديب) . مستخدمين فى ذلك السيف والعذابات المعدة ودولاب (الاعدام) وأدوات التعذيب وغير ذلك من طرق التأديب غير المحصية .

فالجوع فى نظر الله ، كأداة التعذيب فى يد القاضى، يستخدمه لاصلاحنا لكى يقودنا بعيداً عن الرذيلة .

٣ ـ الكرامون : وهكذا أيضا يمكنك أن ترى نفس الأمر فى حالة الكرامين، إذ لا يقف عملهم عند مجرد حفظ جذور الكروم أو حفظ فروعها بل يقلمونها أيضا ويقطعون الكثير من فروعها ... إنهم يستخدمون المنجل أيضا للقطع ، ومع هذا لا نجد خطأ فى عملهم هذا نتمسك به عليهم ، بل بالعكس نعجب بهم عندما نجدهم يقطعون الكثير مما هو غير مفيد ويزيلون ما هو زائد ، مقدمين حفظا أعظم للبقية .

إذن كيف يكون من الصواب هذا فى حالة الأب ، والطبيب والقاضى ، والكرام ، فلا تنتقد الأب عندما يطرد إبنه من بيته أو الطبيب عندما يقدم مرارة لمرضاه ، والقاضى عندما يصلح (بالتأديبات) ، بينما نلوم الله ونوجه ضده إتهامات لا حصر

لها عندما يثير علينا شيئاً من هذا القبيل ... وكأن عقلنا قد أختل بسبب سكرنا من الشر سكراً شديداً !!

كيف لا يحسب هذا جنوناً مطبقا عندما لا نبرر لله (تأديبه لنا) هذا الذى نبرره بالنسبة لزملائنا العبيد ؟!

لا ترفس مناخس !!

أقول لأولئك الذين يلومون الله على هذه الأمور خائفين من هذه الأمور ، ألا يرفسوا مناخس فتدمى أقدامهم،وألا يلقوا بحجارة نحو السماء فترتد على رؤوسهم وتسبب لهم جراحات .

أريد أن أقول ما هو أكثر من هذا . انى أولا كنت أقول بأنه ما دام الله يأخذ منا لأجل خيرنا ليس لنا أن نتكلم... لكننى أقول بأنه وإن أخذ أيضا ما قد أعطانا ، فإننا حتى فى هذا ليس لنا أن نلومه ، فهو السيد له أن يتصرف فيما يخصه .

فلو ائتمننا البعض على مال ، واقرضونا فضة ، فإننا نشكرهم من أجل الفترة التى سمحوا لنا بها فى القرض ، وليس لنا أن نسخط عندما نرد إليهم ما هو ملكهم.فهل نلوم الله الذى يريد أن يسترد منا ما يخصه ؟! أليس فى هذا غباء فاحش ؟!

حقاً إن أيوب النبيل لم يصنع شىء من هذا . فإنه قدم لله

تشكرات عظيمة ليس فقط عندما نال منه بل وعنـدما سحب منه أيضا قائلا « الرب أعطى الرب أخـذ ليكن اسـم الرب مباركاً » أى ١ : ٢١ .

أخبرنى أى عذر لنا إن اتخذنا روحا مضاداً ، فلم نحتمل الله مع أنه يلزمنا أن نتعبد له ، ذاك الذى هو لطيف ومحب ومهتم بنا وأحكم من كل طبيب ، وأكثر حنواً من أى أب ، وأعدل من أى قاضى ، وأكثر غيرة من أى كرام ، فى شفاء نفوسنا ؟!

من هم أكثر اختلالا فى عقولهم وفقـداناً لانسانيتهم مثل أولئك الذين يقولون بأنهم محرومون من عناية الله ، مع أنهم هم فى وسط نظام (دقيق) كهذا ؟! .

✝ ✝ ✝

هل يترك الله العالم للشيطان ؟

ان الشمس ليست واضحة كوضوح العناية الإلهية ، ومع هذا يتجاسر البعض قائلين بأن الشياطين تسيطر على شئوننا .

ماذا لى أن أفعل ؟ ! إن لك سيد محب ، قبل بالحرى أن يجدف عليه بكلماتك هذه ولم يقبل أن يأتمن شئونك بين يدى الشياطين .

(فلو أنه تركك بين أيديهم) لكنت تعرف شرورهم بالخبرة ولكن يمكنك أن تعرف ذلك بالمثال التالى : ـ

١ – المجنونان (١)

« ولما جاء إلى العبر إلى كورة الجرجسيين استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جداً حتى لم يكن أحد يقدر أن يجتاز من تلك الطريق . وإذا هما قد صرخا قائلين ما لنا ولك يا يسوع

---

(١) ذكر ذهبى الفم القصة باختصار ، فاستحسنت أن أوردها بعبارات الكتاب المقدس . مكتفياً بالتعليق الذى أورده القديس على القصة .

ابن الله . أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا . وكان بعيداً منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى. فالشياطين طلبوا إليه قائلين إن كنت تخرجنا فأذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير . فقال لهم أمضوا فخرجوا ومضوا إلى قطيع الخنازير وإذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف إلى البحر ومات فى المياه » مت٨: ٢٨-٣٢ .

هكذا تفعل الشياطين عندما تسيطر !! هذا مع أن الخنازير بالنسبة للشياطين ليست بذات أهمية . أما نحن فبالنسبة لهم توجد بيننا وبينهم حرب بغير هوادة ، ومعركة بلا حدود ، وكراهية بلا نهاية .

فإن كان بالنسبة للخنازير التى ليس بينهم وبينها شىء هكذا لم تحتمل الشياطين أن تتركها ولو نفساً واحداً ، فكم بالأكثر تصنع بنا ونحن أعداء لهم ، هؤلاء الذين ننخسهم دائماً ، ماذا يصنعون بنا لو كنا تحت سيطرتهم؟! إى مضار شديدة لا يحدقونها بها !! لهذا سمح الرب لهم أن يدخلوا قطيع الخنازير حتى نتعلم عن شرهم بما فعلوه بأجساد الحيوانات غير العاقلة ،ونعرف ما يحدث لمن تمتلكهم الشياطين . . . انه يحدث لهم ما حدثه مع الخنازير ...

اننا نستطيع من أمر اخراج الشياطين أن ندرك كلا الأمرين :

ا - حنو الله .

ب - شر الشياطين .

شر الشياطين باقلاقهم نفسى المجنونين ، وحنو الله عندما صد عنهما الشياطين القاسية ومنعهم .

فالشيطان الذى وجد له مسكناً فى المجنون ، رغب أن يؤذى المجنون بكل قوته ، لكن الله لم يسمح له أن يستخدم كل قوته بكاملها ... بل ألزمه بالفضيحة بقوة ، بعودة الإنسان إلى حواسه وظهور الشر بما حدث فى أمر الخنازير .

٢ - ايوب

هل تريد أن ترى مثلا آخراً لكى تعرف كيف يدير الشيطان الأمور ، عندما يسمح الله له باستخدام سلطانه ؟ تأمل قطعان أيوب ومواشيه ، كيف أبادها فى لحظة من الزمن . تأمل موت أولاده الذى يرثى له !! تأمل الضربة التى لحقت بجسده !!

هل يتركنا الله فى أيديهم !؟

ها قد رأيت قسوة الشياطين وشراستهم التى لا ترحم . ومن

هـــذه الأمور تعرف ، أنه لو سمح الله لهم وائتمنهم على هـذا العالم ، كيف كانوا يفسدون كل شيء ويقلقوا الـكل ويصنعوا بنا ما صنعوه بالخنازير والقطعان ، وما كانوا يتركوننا نتنفس لحظة واحدة من الزمن إلا ويعملون على حرماننا من خلاصنا .

لو أن الشياطين هي التي تدير الأمور ما كان حالنـا أفضـل من حال المجنونين ، لا بل بالحرى أشر من حاليهما ، لأن الله لم يسلمهما بالـكامل لظلم الشياطين ، وإلا كانا قد عانا أشــــر ممـا حدث لهما .

والطبيعة تشهد عن عناية الله

أريد أن أسأل القـائلين بهذا : أى تشويش يرونه الآن حتى ينسبوا كل الأمور إلى تدابير الشياطين .

ها نحن نرى الشمس منذ سنوات هذا عـددها ومع ذلك لا تزال كل يوم فيوم تسلك بنظام ، ومجموعات الـكواكب غير المحصية تحتفظ بنظامها . مواعيد القمر لا تعاق ، وتعـاقب الليل والنهار لا يتغير. جميع الأمور العلوية والسفلية تسير فى نظام متوافق منسجم ... الـكل يحتفظ بمكانه الخـاص به ولا يتخلى عن النظام الذى وضعه له الله منذ البداية .

إعتراض : قد يقول قائل : وما فائدتنا إن كان هذا كله من سماء وشمس وقمر ونجوم . . . الكل يحتفظ بنظام حسن ، لكن أمورنا نحن مملوءة تشوشاً وارتباكا ؟

أى ارتباك أيها الانسان ؟ وأى تشويش ؟

يقول بأن إنساناً ما غنياً لديه فوق ما يحتمل ، هذا يكون جشعاً وطماعا ، ويسلب ما للفقير يوما فيوم ، ومع هذا لا يعانى من أحزان مرعبة . وآخر يعيش فى حرمان وهو ضابط لنفسه ومستقيم ومزين بكل بقية الصفات الحسنة ، ومع هذا نجده مؤدباً بالفقر والمرض وغير ذلك من الأحزان الكثيرة المرعبة .

هل هذه الأمور تضايقك ؟ تجيب نعم .

إن كنت ترى أن الطماع يؤدب كثيراً ، والسالك فى حياة الفضيلة يتمتع بأمور صالحة كثيرة فلماذا لا تتخلى عن فكرتك وتكون مقتنعا بالقدير ؟

فإننى أنا أيضاً ما يضايقنى بالأكثر هو أنه لماذا يوجد شريران أحدهما يعاقب والآخر يهرب من التأديب ، ويوجد صالحان

أحدهما يكرم والآخر يبقى تحت التأديب؟ فإن هذا أيضاً من الأعمال العظيمة التي لعناية الله .

✝ فإنه لو عاقب كل الأشرار ها هنا ، وكرم كل الصالحين هنا فما الحاجة إلى يوم الدينونة ؟!

✝ وأيضاً لو أنه لم يؤدب أي شرير ولم يكرم أي إنسان صالح ، فإن الشرير يزداد في شره ... والذين يجدفون على الله يسبونه أكثر ويقولون بأن أعمالهم منعزلة عن عنايته.

✝ كذلك إن كان بعض الأشرار يتعذبون وبعض الصالحين يعاقبون فإنهم يقولون بأن شئون البشرية لا تخضع للعناية .

بل وحتى إذا لم يحدث شيء من هذا ، فأي (شر) لاينطقون به ؟! وأي كلمات لا تخرج من أفواههم ؟!

لهذا فإن بعض الأشرار يتعذبون وبعضهم لايتعذب. وبعض الصالحين يكرمون والبعض لايعطيهم كرامة .

فهو لايؤدب الكل لكي يحثك بأن هناك يوم للقيامة . ولكنه يؤدب البعض لكي يحول بعض المهملين جداً إلى غيورين بسبب الخوف النابع عن العقوبات التي تحل بهم .

كذلك يكرم بعض الصالحين لكى يحث الآخرين على مضاعفة الفضائل ، ولكنه لا يكرم الكل حتى نتعلم أنه يوجد وقت آخر يستردون فيه كل جزائهم . لأنه لو نال الكل استحقاقهم هنا ، لما كانوا يؤمنون بيوم القيامة . وان لم ينل أحد قط شىء من جزائه هنا ، فسنهمل الغالبية إهمالا أعظم بما هم عليه .

موقف الله من الاشرار

لهذا فإن الله يؤدب البعض ولا يؤدب الآخرين ، وذلك لأجل نفع كلا من المؤدبين والذين لم يخضعوا للتأديب . فيجعل الآخرين ينزعوا شرهم بضبطهم لنفوسهم عندما يرون الأولين (تحت التأديب) ،وهذا واضح من قوله « أتظنون أن ...أولئك الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج فى سلوام وقتلهم أتظنون أن هؤلاء كانوا مذنبين أكثر من جميع الناس الساكنين فى أورشليم.كلا. أقول لكم « بل إن لم تتوبوا فجميعكم تهلكون »[1] لو ١٣ : ٢ - ٥ .

(١) لم يذكر ذهبى الفم النص كاملا .

هل ترون كيف هلك أولئك بسبب خطاياهم ، والبقية لم تهرب من الهلاك بسبب برهم ، إنما لكى يصيروا إلى حال أفضل بنظرهم عقاب الآخرين ؟!

قد يقول قائل: ألم يعاقب هؤلاء ظلماً؟ لأن هؤلاء كان يمكنهم أن يصلحوا دون أن يعاقبوا بنظرهم عقاب الآخرين .

لكن لو أن الله يعلم أن هؤلاء سيصيرون إلى حال أفضل بالتوبة ، ما كان عاقبهم (هكذا) . لكنه سبق فرأى أن كثيرين لاينتفعون شيئا من طول أناته ، ومع هذا يحتملهم بطول أناة عظيمة ، منفذاً ما هو من جانبه ، ومعطياً إياهم فرصة لعلهم يرجعون عن بلادتهم إلى احساس سليم يوماً ما . فكيف يقدر أن ينزع هؤلاء الذين كانوا يصيرون إلى حال أفضل بنظرهم عقاب الآخرين بالتوبة ... (لو لم يعلم أنهم لن يتوبوا) ؟!

فمن جهة معاملتهم بالظلم ، فإن شرهم انتهى بعقابهم (بالموت لم يعودوا بعد يخطئون أكثر) ويصير عقابهم هناك أخف .

أما أولئك الذين لم يتأدبوا بتأديبات انهم لم يعاملوا بعدل ، فإنهم يستطيعون - إن أرادوا - أن يستفيدوا من طول أناة الله وأن يتمموا تغيراً فاضلا جداً ،فيتعجبون من طول أناته ويخجلون

من تسامحه الزائد ، فيعودون يوماً إلى الفضيلة ويكسبون خلاصهم بنظرهم عقاب الآخرين .

لكن إن بقوا فى شرهم ، فإن الله لايعاب عليه من أجل طول أناته عليهم لكى يشفيهم ، إنما هم لا يستحقون العفو إذ لم يستفيدوا من طول أناته .

موقف الله من المستقيمين

وهذا يمكن أن نستخدمه كبرهان عن سبب عدم تأديب كل الأشرار كذلك يمكننا استخدامه بالنسبة للآخرين (المستقيمين) أيضـاً ...

فلو أن الله أوقع على الجميع العقوبات التى يستحقونها عن خطاياهم ، لماتت كل البشرية .

ولكى تتعلم هذه الحقيقة اسمع مايقوله النبى « إن كنت تراقب الآثام يا رب يا سيد فمن يقف » مز ١٣٠ : ٣ . لتقدم لك تلك الخطايا التى يسقط فيها الكل ومنها يظهر لنا أنه لو سقطت علينا تأديبات عن كل خطايانا ، لكنا قد هلكنا منذ زمن بعيد . فالرب يقول بأن من يقول لأخيه يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم

(مت ٥ : ٢٢) ، فهل يوجد منا إنسان لم يخطىء قط بهذه الخطية ؟! . . .

أيضا يقول بأن الذى يقسم حتى وإن أوفى بالقسم إنما يرتكب أمراً يخص الانسان الشرير (مت ٥ : ٣٧) ، فمن إذاً لم يسقط قط ؟! نعم . بالحرى من الذى لم يقسم باطلا قط ؟!

يقول من ينظر إلى إمرأة نظرة دنسة يكون كله زانياً . . . ومن هذه الخطية يستطيع الانسان أن يجد فى نفسه خطايا كثيرة.

إن كان هذا بالنسبة للخطايا التى نعرفها وهى لا تحتمل ، كل منها تجلب علينا تأديباً لا مفر منه ، فماذا لو أننا أحصينا الخطايا السرية التى نرتكبها ؟! عندئذ ندرك أن عناية الله تسمح ألا ننال تأديباً عن كل خطية .

فعندما ترى إنسانا جشعاً طماعا ولم تقع عليه تأديبات ، إفضح ضميرك ودقق فى حياتك الخاصة (فسترى) الخطايا التى إرتكبتها وتتعلم أن فى حياتك أنت لم تؤدب عن كل خطيــة من الخطايا .

إن الغالبية تنطق بكلمات طائشة لأنهم لا يتطلعون إلى حال

نفوسهم قبل أن يتطلعوا إلى أحوال الآخرين ، لكننا نحن جميعاً نترك ما يخص نفوسنا لنفحص ما هو للآخرين .

ولكن ... إن رأيت إنساناً باراً يتأدب تذكر أيوب، فإنه ليس من هو أبر منه ولا من يقترب إليه (من جهة بره) ، وإن تحمل آلام لاحصر لها فإنه ليس من إحتمل مثله !!

يؤدبك لانه يحبك !!

إذ تضع هذا فى ذهنك ، كف عن إتهام السيد (الرب) ، متعللاً أن الله يسمح للإنسان باحتمال الشرور ، ليس لتركه إياه بل رغبة فى تتويجه ، لكى يصير إلى حال أفضل .

وإذا رأيت خاطئاً يعاقب ، تذكر المفلوج الذى أمضى ثمانية وثلاثين عاماً على سريره . لأن هذا الانسان قد أسلم للمرض بسبب الخطية ، إسمع مايقوله السيد المسيح « ها أنت قد برئت فلا تخطىء أيضاً لئلا يكون لك أشر » يو ٥ : ١٤ .

فعندما نسقط تحت تأديب ، فإننا إما أننا نؤدب بسبب خطايانا أو نتقبلها كمجال للتكليل ، وذلك باحتمالنا الشر ونحن نعيش فى استقامة .

وهكذا سواء كنا نعيش فى بر أو خطية ، فإن التأديب نافع لنا . تارة يزيدنا استقامة ، وأخرى يجعلنا نضبط نفوسنا ، وتخفف عنا العقوبة المقبلة . إذ الشخص الذى يقبل التأديب هنا بشكر تخف عقوبته هناك . اسمع مايقوله الرسول بولس قائلا « من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حكم علينا . ولكن إذ قد حكم علينا نؤدب من الرب لكى لا ندان من العالم» ١ كو ١١ : ٣٠-٣٢ .

ما أبعد أحكامه عن الفحص ! !

فإذ نعرف كل هذه الأمور ، لنتأمل فى عناية الله ولنسد أفواه المعارضين .

أما إذا صعبت هذه الأمور على أفهامنا ، لا نظن أن أمورها لا تدبرها العناية الإلهية .

لكننا إذ ندرك عنايته الإلهية ولو جزئياً فى أمور تفوق إدراكنا ، علينا أن نستسلم لحكمته غير المفحوصة .

إن كان ليس ممكناً لإنسان غير خبير أن يفهم فناً بشرياً ، فكم بالأكثر تكون الاستحالة بالنسبة للبشر أن يعرفوا كنه

العناية الإلهية غير المحدودة . ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء (رو ١١ : ٣٣) ومع هذا يمكننا بعينات قليلة نفهم منها ما هو كل . فنشكره من أجل ما يصنع ...

إننا نسأل المعارضين : هل يوجد إله ؟ فإن أجابوا بالنفى فلا حاجة لنا أن نجيبهم ، لأنه من العبث أن نجيب مجانين . هل يمكن لسفينة أن تسير بها البحارة والمسافرين من غير أن يوجهها القبطان ؟! فكم بالأكثر بالنسبة للعالم المملوء بشراً والمكون من عناصر مختلفة ، كيف يستمر دون أن تحيطه عناية ، تحكمه وتسند حركته !!

وإن كان هناك إله ، فهو بالحق عادل ، وإن كان عادلا فهو يعطى كل حسب استحقاقه.

لكننا لا نرى هنا أن الكل يأخذ حسب استحقاقه . إذاً لابد أن يكون لنا رجاء فى المكافأة التى تنتظرنا ، لكى يظهر عدل الله . وهذا يقودنا للتفكير لا فى العناية الإلهية فحسب بل وفى القيامة أيضاً .

فلنعلم الآخـــرين ، ونبذل كل جهدنا لسد أفواه المفترين

عند السيد الرب ، ونمجده فى ذواتنا . بهذا نقتنى كثيراً من عنايته ونجلس فى كنفه ، فيصير لنا إمكانية الهروب من الشر الحقيقى ونقتنى الصلاح المزمع أن يكون بواسطة نعمة ربنا يسوع المسيح وحبه ، الذى به ومعه يتمجد الآب مع الروح القدس الآن وكل أوان وإلى أبد الآبدين . آمين .

† † †

من كتابات الآباء

١ - الحب المقدس

الجزء الأول : الحب الأخوى (٤٩٦ صفحة)

الجزء الثانى : الحب الرعوى (٨٢٤ صفحة)

٢ - رسالة تعزية ليوحنا ذهبى الفم

٣ - الكنيسة تحبك » » »

٤ - من يقدر أن يؤذيك ؟ » » »

٥ - إتضاع الفكر » » »

٦ - رسالة إلى ساقط يائس » » »

٧ - ترفقوا بالخطاة للقديس امبروسيوس

٨ - الموعظة على الجبل » اغسطينوس

٩ - اغناطيوس وبوليكربس

١٠ - لماذا ترهبون الألم والموت ؟ للشهيد كبريانوس

١١ - الفيلوكاليا أقوال ثلاثة من الآباء القديسين

١٢ - يسوع والمفلوجان ليوحنا ذهبى الفم

١٣ - هل للشيطان سلطان عليك ؟ » » »

المقال الثاني

لماذا لاينزع الشيطان عن العالم؟ [1]

رد على المعترضين بحجة عدم خروج الشيطان من العالم ، مع اثبات أن حيل الشيطان لاتؤذينا ان أخذنا حذرنا ، وحديث عن التوبة .

(١) الترجمة الحرفية للمقال « سلطان الانسان على مقاومة الشيطان » .

تقديم

اقبل يا رب مائدتى

. في القديم عندما اشتهى اسحق أن يأكل من وليمة من صنع يدى إبنه ، أرسل ابنه خارجا ليصطاد له . أما اسحق العهد الجديد فعندما اشتهى وليمة من أيدينا ، لم يخرجنا خارجاً لنصطاد بل جاء هو إلى مائدتنا.

أى حب أعذب من هذا ؟! أى اتضاع أعظم من هذا ؟! ان الذى رأى أنه من اللائق أن يعلن لنا عن حبه الحار ، لم يستنكف عن أن ينزل إلينا نحن البعيدين !!

... ونحن إذ رأينا وجهه الابوى ، نسينا بالتأكيد شرورنا ونزحنا عنا متاعبنا ، وصارت لنا رفعة البهجة والسرور. وعندما رأينا رأسه الإبيض امتلأت نفوسنا نوراً واشراقاً .

على هذا الأساس أعددنا المائدة بفرح ليأكل ويباركنا ، لكن بغير خداع أو مكر كما فى القديم . إذ بالحق أمر (اسحق) واحداً (عيسو) باحضار المائدة ، لكن الذى أحضرها آخر (يعقوب) . أما بالنسبة لى فإنه قد أمرنى أن أحضر الوليمة ،

وأنا أيضا أحضرتها ... » باركني يا أبي إذاً بالبركات الروحية التي نصلي لأجل نوالها ، النافعة لكم كما لي أنا أيضا ولهؤلاء جميعا » .

والآن قد حان الوقت لاعداد المائدة ، وهي بقايا ما كنا نتحدث عنه أخيراً .. إذ لا نزال نجدد الحديث عن « الشيطان » هذا الذي بدأنا الحديث عنه منذ يومين ، وقد تحدثت عنه في هذا الصباح مع المبتدئين عندما كنت أكلمهم عن « إحتقار العالم والتوبة » .

† † †

لماذا لم يستبعد الشيطان ؟

لسنا نردد هـذا الحـديث عن الشيطـان لأننـا نحبـــه أو نستعذبه ، إنما لأن فى هذا التعليم أمان كامل لحياتـكم . فهو عدو وغريم ، وسلامكم وأمانـكم يـكمن فى معرفتـكم الصحيحة لحيل أعـــدائكم .

لا يجبرك على الهزيمة

لقد قلنا قبلا أنه لايهزمنا بالقوة أو بطغيان أو بالاجبار أو العنف ، وألا لدمرت البشرية كلها . وقد اثبتنا هذا من حادثة الخنازير (مت ٨ : ٣١) التى لم تستطع الشياطين أن تدخل فيها إلا بعد إستئذان السيد .

أما بالنسبة لقطعان أيوب ، فلم يجرؤ الشياطين على إهلاكها إلا بعدما أخذوا سلطاناً من فوق .

لقد علمنا أولا أن إبليس لايهزمنا عنوة أو بالعنف ،وأضفنا أيضاً أنه حتى عندما يهزم ويغلب بخداعه فإنه لايسيطر على البشر جميعهم . ثم أوردنا قصة أيوب المناضل ، الذى وضع وسط حيل

لا حصر لها ، ومع هذا لم يستولى عليه إبليس بل انسحب منه مهزوماً مغلوباً على أمره .

لماذا لا يستبعد الشيطان ؟

والآن بقى لنا سؤال واحد . . . إذ يقول قائل : إن كان الشيطان لا يتغلب علينا جبراً بل بالمكر والخداع ، أما كان من الأفضل أن يهلك ؟ فإن كان أيوب قد هزم قوة إبليس إلا أن آدم خدع وطرد خارجاً . فلو أن إبليس قد طرح خارجا واستقصى بعيداً عن العالم لما سقط آدم وطرد ، ولكن إبليس باق الآن ، وان كان يغلبه واحد ، إلا أنه هو يغلب كثيرين . يصرعه عشرة ، أما هو فيصرع عشرة آلاف .فلو أن الله طرحه خارجاً عن العالم ، لما هلك هؤلاء العشرة آلاف . ماذا نقول عن هذا ؟ !

١ ـ كرامة الغالبين أعظم من خزى المغلوبين :

أولا نقول أن الذين غلبوا إبليس لهم كرامة أفضل بكثير من أولئك المغلوبين حتى ولو كان المغلوبون كثيرين والأوائل قليلين ، إذ يقول « (ولد) واحد يتقى الرب خير من ألف منافقين» ابن سيراخ ١٦ : ٣ .

٢ ــ أذى المغلوبين كسلهم وليس الشيطان :

ثانياً : لو استبعد الشيطان من العالم ، فإن المنتصرين تجرح كرامتهم . لكن لو ترك الشيطان ، فإن الكسالى وذوى البطر لايتأذون على حساب المتيقظين إنما بسبب بطرهم وكسلهم ، بينما لو استبعد الشيطان عن العالم ، فإن المتيقظين يغبنون على حساب المتهاونين حيث لا تظهر قوتهم ويحرمون من الإكليل .

لعلكم لم تفهموا بعد ما قلته ، لهذا يلزمنى أن أكرر القول موضحــاً : ـ

لنفرض أن عدواً يصارع اثنين فى حلبة المصارعة ، واحد منهما أنهكه النهم وعدم الاستعداد مما جعل قوته تخور ويفقد أعصابه ، أما الآخر فقد كان يقظاً له عادات حسنة يقضى زمانه فى التدريب على تداريب كثيرة فى مدرسة المصارعة . فلو سحب العدو من وسط الحلبة ، من من الإثنين يصبه الأذى ؟ من يكون ضحية ؟ الانسان المتكاسل غير المستعد ، أم الغيور المجاهد كثيراً ؟! من الواضح أن هذا الأمر يؤذى الغيور المجاهد ويضايقه . لأن المجاهد يغبن بانسحاب العدو ، أما المتكاسل فلا يصيبه أذى لأن سقوطه سببه تكاسله .

٣ — تهاون الانسان جعل الشيطان يدعى « مضللا »

وهنا أيضا أتعرض لتوضيح آخـــر حتى نتعلم أن التراخى والكسل هو الذى يصرع غير المنتبهين وليس إبليس ... إنما هو يسمح لإبليس لكى يفرط فى الشر ، ليس (كأمر طبيعى[1]) بل حسب الاختيار (أى قبولنا شـــره) فإبليس ليس طبيعياً (إلزامياً) مضـــر ، إنما كما هو واضح من اسمائه ، إذ يدعى « المضلل » .

لقد أساء ضد سمعة الإنسان أمام الله قائلا « هل مجاناً يتقى أيوب الله ... ولكن أبسط يدك الآن ومس كل ما له فإنه فى وجهك يجدف عليك » أى ١ : ٩ - ١١ . ولقد ضلل إبليس أيضاً عندما قال « نار الله سقطت من السماء فاحرقت الغنم » أى ١ : ١٦ . انه كان يحاول اقناع أيوب بأن هذه المصائب . نازلة عليه من السماء من فوق ، واضعاً العثرات بين السيد الرب وعبده . وهكذا حاول إبليس لكنه فشل !!

---

(١) فى النص الانجليزى « بطبيعته » ، وربما يقصد كأمر إلزامى طبيعى « أو يقصد أن الشيطان أصلا ليس طبيعته الشر لأنه كان قبلا ملاكاً .

إنه فى حالة نجاحه فى محاولته مع آدم ، وتصديق آدم لتضليله ينبغى ألا يفهم أن انتصار إبليس وقوته يعـــود إلى طبيعته بل لـكسل الانسان واهماله ، لهذا دعى إبليس .

ان التضليل وعدمه ليس أمر طبيعى بل قد يحدث أو لا يتم حدوثه ، دون أن يصل الأمر إلى درجة « الطبيعية » .

ان موضوع الأمور الطبيعية والأمور العارضة ، موضوع يصعب على الـكثيرين فهمه ، ولـكن هناك من ينصت إلينا بفهم. إلى هؤلاء نتحدث .

اننا سنعرف بأنه ليس اسم من اسمائه أطلق عليه بالطبيعة . فقد دعى « الشرير » ، لـكن شره ليس أمر طبيعى بل باختياره . لم يكن منذ البداية هكذا ، بل جلب الشر لنفسه . كذلك دعى أيضا « الجاحد » ...

هل نستبعد الخليقة الجميلة أيضا ؟

لنترك الحديث عن إبليس الآن وننظر إلى الخليقة ، حتى نعلم أن إبليس ليس هو السبب فى آلامنا لو أخذنا حذرنا منه ، وحتى نعرف أن ضعيفى الارادة وغير المستعدين والـكسـالى

يسقطون حتى ولو لم يوجـــد إبليس ويسقطون بأنفسهم فى أعماق الشر . . .

الـكل يعرف ـ كما قلت ـ أن إبليس شرير ، ولـكن ماذا تقول عن الخليقة الجميلة والعجيبة ؟ !

هل الخليقة شريرة أيضاً ؟

من هو هذا الشرير والغبى حتى يجرؤ ويدين الخليقة ؟ !

ان الخليقة جميـلة ، وهى علامة حب الله وحـكمته وقوته . لنستمع إلى النبى الذى يتعجب قائلا « ما أعظم أعمالك يارب . كلها بحكمة صنعت » مز ١٠٤ : ٢٤ . وقد مر النبى على الخليقـة واحدة تلو الواحدةفى دهشة ، ولـكن أمام حكمةاللهغير المنظورة تراجع قائلا « فإنه بعظم جمال المبروءات يبصر ناظرها على طريق المقايسة » حك ١٣ :٥ . ولنستمع إلى بولس الذى يقول « لأن أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العـالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية » رو ١ : ٢٠ . فـكل شىء من أمورهذه الخليقة ـ كما يقول الرسول ـ تقودنا إلى معرفة الله .

والآن إن رأينا نفس هذه الخليقة الجميـــلة والعجيبة تصير

سبباً لشر الانسان فهل نلومها إذا ؟ ! حاشا . بل نلوم أولئك الذين لم يستطيعوا استخدام الدواء استخداماً صائباً .

إذاً متى تصبح الأمور التي تقودنا إلى معرفة الله علة شرنا ؟ يقول الرسول ، ان الحكماء « حمقوا في أفكارهم . . . وعبدوا المخلوق دون الخالق » رو ١ : ٢١ - ٢٥ . لم يأت ذكر إبليس هنا ، بل وضعت أمامنا الخليقة كمعلمة لنا عن حكمة الله ، فكيف صارت علة شر ؟ ! هذا طبعاً لا يرجع إلى طبيعتها بل إلى اهمال الذين يحترسون لانفسهم . لأنه ماذا يقول ؟ هل ننزع الخليقة أيضاً ؟ !

وهل نستبعد اعضاءك ايضا ؟

لنترك الخليقة ونأتي إلى أعضائنا ، فحتى هذه نجدها سبباً في هلاكنا ، إذا لم نأخذ حذرنا . وهذا ليس عن طبيعة الأعضاء بل بسبب تراخينا أيضاً .

لقد وهبنا عيوناً نعاين بها الخليقة فنمجد السيدالرب .ولكن متى أسأنا استخدامها تصير خادمة للزنا .

وقد أعطينا اللسان لنعلم حسناً . ونسبح الخالق،فإذا لم نحترز لأنفسنا يصير علة تجديف .

وأخذنا الأيدى لنرفعها فى الصلوات ، ولكننا إذا لم ننتبه نجدهما تعمل فى الطمع والجشع .

ووهبنا الأقدام لتسير فى الصلاح ، وبإهمالنا تتسبب فى أعمال شريرة .

ان كل الأشياء تؤذى الانسان الضعيف ، حتى أدوية الخلاص (بالنسبة للرافضين إياها) تسبب الموت . . . لا بسبب طبيعة الدواء بل بسبب الضعف .

الله خلق السموات لنعجب من أعماله ونعبد الرب . لكن آخرون تركوا الخالق وعبدوا السماء . وعلة هذا اهمالهم وجمودهم .

حتى الصليب عند الهالكين جهالة

بالتأكيد لا يوجد شىء يؤدى بنا إلى الخلاص أكثر من الصليب . لكن هذا الصليب صار جهالة للهالكين ، لأن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة ، أما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله » ١ كو١ : ١٨ . ويقول أيضا «ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوبا لليهود عثرة ولليونانيين جهالة » ١ كو ١ : ٢٣ .

والرسل صاروا رائحة موت لكثيرين

من يقدر أن يعلم أفضـــل من بولس والرسل ؟ ! لـكنهم صاروا رائحة موت لـكثيرين . إذ يقول الرسول بولس «هؤلاء رائحة موت لموت ولأولئك رائحة حياة لحياة » ٢ كو ٢ : ١٦ .

ان الضعيف (الرافض) يؤذيه حتى الرسول بولس ، وأما القوى لا يقدر أن يؤذيه حتى إبليس ؟ !

وفى المسيح عثر كثيرون

لننتقل بحديثنا إلى يسوع المسيح نفسه .

من يقدر أن يقيم خلاصه ؟ ! ما أكثر النفع الذى جنيناه من حضوره معنا ! ! لـكن هذا المجىء المبارك بعينه صار علة دينونة لـكثيرين ، فقال يسوع لدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون » يو ٩ : ٣٩

ماذا نقول يا إخوتى : هل يصير النور سببا فى العمى ؟ ! ! ليس النور بل الشـــر الذى ملأ عيون النفس فحجب عنهـــا معاينة النور .

وهكذا نرى الضعيف (المصر على شره) يؤذيه كل شىء ، أما القوى فينتفع من كل أمر .

ففى كل حالة ، تكون الإرادة هى علة الشر ، وتكون حالتنا هى السبب ، فإن كنا فى ضعف ساد الضعف ، وإن كنا فى قوة سادت القوة .

استفد من ابليس

حتى إبليس يمكن أن يكون سبب نفع لنا إن فهمناه ... وهذا واضح فى حالة أيوب . ويمكن أن نتعلم هذا أيضاً من بولس إذ يكتب بخصوص الزانى قائلا « أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكى يخلص الروح » ١ كو ٥ : ٥ . أنظروا حتى الشيطان قد صار سبب خلاص ، لا بطبيعته ولكن بمهارة الرسول كالطبيب الذى يحضر حية ويستخرج منها دواء .

فلنتعلم أيضا أن إبليس ليس هو علة خلاص ، لكن قدماه تسرعان نحو هلاك الجنس البشرى... إذ يقول الرسول فى رسالته الثانية لأهل كورنثوس عن الزانى عينه « أطلب أن تمكنوا له المحبة . . . لئلا يطمع فينا الشيطان لأننا لا نجهل أفكاره » ٢ كو ٢ : ٨ - ١١ ...

وهنا يعتبر الرسول بولس الشيطان كمنفذ لأحكام الله . . .

إذ قال الله للشيطان بخصوص أيوب « ها هو فى يدك ، ولكن احفظ نفسه » أى ٢ : ٥ ، ٦ .

هكذا أعطى الرب حدوداً لإبليس لا يتعداها ، حتى لا يبتلعه بغير حياء . . .

لذلك لا نخاف الشيطان حتى ولو كان روحاً بغير جسد. فليس شىء أضعف منه ذاك الذى جاء in such contact ولو كان غير جسدى ، ولا شىء أقوى من الشجاع ولو كان يحمل جسداً قابلا للمـوت !! .

✝ ✝ ✝

لنرجع ونتب !!

لست أبرىء الشيطان

لم أنطق بهذه الأمور لأبرىء الشيطان من الذنب ، لكن لكى أحذركم من الكسل . فإن رغبة الشيطان أن نلقى باللوم عليه فى أخطائنا ... وبهذا نغرق فى كل صنوف الشر ونزيد على أنفسنا العقوبة ولا ننال العفو ، إذ ننسب العلة إليه (بغير توبة منا) .

حواء لم تنل شيئاً (من العفو) ، ليتنا نحن لا نصنع مافعلته بل لنعرف أنفسنا ، ولنعرف جراحاتنا ، وعندئذ يمكننا أن نستخدم الأدوية . لأن من يعرف مرضه لايبالى بضعفه .

اننا نخطىء كثيراً . هذا أعرفه جيداً . لأننا جميعاً مستحقون العقوبة . لكننا لا نحرم من العفو ، ولا نستبعد عن التوبة ، إذ لا نزال قائمين كمن فى مسرح المصارعة وفى صراع للتوبة .

استعد للرحيل

هل أنت شيخ ، وقد حان وقت خروجك من العالم ؟

لا تظن حتى فى هذا انك تحرم من التوبة لا تيأس من خلاصك . تأمل كيف تحرر اللص وهو على الصليب فإنه أى وقت أقصر من تلك الساعة التى توج فيها ؟! ومع هذا فإن هذا كان كافيا لخلاصـــه .

هل أنت حدث صغير ؟ لا تثق فى حداثتك ، ولا تظن انك ضامناً وقتاً ما تعيش به فى الحياة .لأن « يوم الرب كلص فى الليل هكذا يجىء » ١ تس ٥ : ٢ .

لقد جعل نهايتنا غير منظورة (غير معروفـة) لـكى نبذل الجهد ونتطلع إلى قدام بجلاء .

أما ترى الناس يأخذون يوما فيـــوم قبل الأوان ؟! لهذا السبب نصحنا الحكيم قائلا « لا تؤخر التوبة إلى الرب ولا تتباطأ من يوم إلى يوم » ابن سيراخ ٥ : ٨ . لئـلا تتأخـــر فى أى وقت فتهلك .

ليحفظ الشيخ هذه المشورة ، وليقبل الشاب هذه النصيحة .

نعم . انك الآن فى أمان . هل أنت غنى ولديك ثروة وفيرة ولا تصيبك أحزان ؟ إسمع ما يقوله بولس « لانه حينما يقولون سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة » ١ تس ٥ : ٣ .

طــرق التوبة

هل تريد أن أحدثك عن طرق التوبة ؟ انها كثيرة ومتنوعة وجميعها تقود إلى السماء .

١ - الطـريق الأول للتوبة هو إدانة (النفس) على الخطية « ذكرنى فنتحاكم معاً . حدث لكى تتبرر » أش ٤٣ : ٢٦ . كذلك يقول النبى « قلت اعترف للرب بذنبى وأنت رفعت آثام خطيتى » مز ٣٢ : ٥ . بكت نفسك على خطاياك ... لأن من يدين خطاياه لا يعود يسقط فيها .

٢ - إيقظ ضميرك ، هذا الخصم الداخلى (الذى يتهمك) أمام منبر حكم الرب . هذا أفضل طريق للتوبة . لكن هناك طريق لا يقل عنه أهمية وهو ألا تحمل ضغينة ضد أعدائك منتصراً على الغضب ، غافراً خطايا العبيد رفقائك . فإنه بهذا تغفر الخطايا التى ارتكبناها فى حق سيدنا .

تأمل فى هذا الطريق الثانى لمغفرة الخطايا ، إذ يقول « فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى » مت ٦ : ١٤ .

٣ - هل تريد أن تتعلم طريقاً ثالثاً للتوبة ؟ الصلاة الحارة بلجاجة ، النابعة من القلب .

ألم ترى كيف صنعت الأرملة حيال القاضى الظالم (لو ١٨ : ٣) . اما أنت فقاضيك لطيف ، حنون وشفوق . هى سألته ضد خصومها ،أما أنت فتسأله ليس ضد خصومك بل لأجل خلاص نفسك.

٤ ـ سأتكلم أيضا عن الصدقة ، لأن لها قوة عظيمة غير منطوق بها .

يقول دانيال لنبوخذ نصر الذى ارتكب كل فنون الشر وصار جاحداً « لذلك أيها الملك فلتكن مشورتى مقبولة لديك وفارق خطاياك بالبر وآثامك بالرحمة للمساكين » دا ٤ : ٢٧.

بماذا يقارن الحنو والشفقة ؟ فبعدما ارتكب خطايا لا حصر لها ومعاصى كثيرة ، وعده بأنه إن أظهر عطفا على العبيد رفقائه يغفر له .

٥ ـ الوداعة والإتضاع لايقلان شأنا عما تكلمنا به ، فإنهما ينزعان طبيعة الخطايا والعشار يؤكد ذلك . فبكونه عجز عن ذكر أعماله الصالحة أمام الجميع ، تقدم باتضاعه ملقيا عنه ثقل الخطايا العظيم (لو ١٨ : ١٣) .

☨ ☨ ☨

خاتمة

انظر فإننا أوردنا خمسة طرق للتوبة :

أولا ـ التبكيت على الخطايا ...

ثانيا ـ المغفرة لأخطاء القريب ...

ثالثا ـ الصلاة ...

رابعا ـ الصدقة ...

خامسا ـ الاتضاع ...

إذاً لا تكسل. أسلك فى هذه جميعها يوما فيوم .لأن الطرق سهلة ، ولا تستطيع أن تعتذر بالفقر . لأنك وإن كنت تعيش كأفقر انسان ، تقدر أن تنزع عنك غضبك وتكون متضعا وتصلى بحرارة وتدين نفسك على خطاياك ، فالفقر ليس بحجة للهروب .

ولماذا أتكلم عن هذه الأمور ، بل حتى ذلك الطريق الذى للتوبة وفيه يصرف الانسان مالا (أى الصدقة) فإنه لا يعفينا الفقر عن إطاعة الوصية . فالارملة التى دفعت فلسين هى برهان على ذلك (مر ١٢: ٤٢) .

إذاً فلنتعلم شفاء جروحنا ، ولنستخدم هذه الأدوية بثبات حتى تعود إلينا صحتنا ونتمتع بالمائدة المقدسة بالتأكيد ، ونصل بمجد عظيم إلى المسيح ملك المجد ، وننال الخير الابدى ، بنعمة ورأفة وحنو ربنا يسوع المسيح الذى به وله المجد والسلطان والكرامة ، مع الآب والروح المحيي الكلى القداسة والصلاح ، الآن وكل أوان وإلى أبد الآبدين . آمين .

☩ ☩ ☩

المقال الثالث

لماذا يترك الله الأشرار فى العالم(1)

ان الشر ينبع عن الكسل ، والفضيلة عن المثابرة . وانه لا يقدر الأشرار أو الشيطان نفسه على أذية انسان يقظ ...

(1) العنوان الأصلى لهذا المقال كالعنوان الأصلى للمقال السابق .

لماذا لم يخدعكم الشيطان ؟

لقد بدأنا أول أمس فى الوعظ بخصوص « الشيطان » . . .
وبينما كنا نشرع فى الوعظ ، ذهب البعض إلى المسارح يشاهدون عروض الشيطان . لقد كانت لهم شركة فى الأغانى الخليعة ، أما أنتم فكنتم تشتركون فى الموسيقى الروحية . كانوا يأكلون من نفايات الشيطان ، أما أنتم فكنتم تتغذون بدسم روحى .

أسألكم من الذى خدعهم ؟ من الذى فصلهم عن القطيع المقدس ؟ هل الشيطان هو الذى خدعهم ؟! فلماذا لم يخدعكم أنتم ؟! مع أنكم وإياهم بشر متشابهون ، أقصد لكم طبيعة واحدة ...لكم نفسى (روح) مشابهة ، وغرائز (ميول) ... واحدة بقدر ما خصتكم بذلك الطبيعة .

إذا كيف لم يكن الكل فى مكان واحد ، إلا بسبب اختلاف الهدف . لهذا السبب بحق هم صاروا تحت الخداع ، وأما أنتم ففوقه .

لست أقول هذا لكى أبرىء الشيطان من الإتهام، بل اشتاق بغيرة أن تتحرروا من الخطايا .

فالشيطان شرير. وأنا أسلم بهذا . لكنه شرير بالنسبة لذاته وليس بالنسبة لنا ما دمنا حذرين . لأن هكذا هى طبيعة الشر . أنها مهلكة للذين يتمسكون بها وحدهم.

ابكموهم بالقوة الحسنة

لهذا هل تستخدم هذه الوسيلة للبرهان ، فإن رأيت إنسانا يعيش فى شر ويظهر كل صنوف الآثام ، ملقيا باللوم على العناية الإلهية ، قائلا بأن هذا مصادفة بحكم القضاء والقدر أو بسبب إستبداد الشياطين ، وأن الله وهبنا هذه الطبيعة ... وكل الأمور التى ينزع بها اللوم عن ذاته ليلقى بها على الخالق المعتنى بالكل ؛ عندئذ أبكم فمه لا بالكلام بل بالعمل، مظهراً للعبد رفيقك الحياة فى الفضيلة والاحتمال .

إنه لا حاجة للأحاديث الطويلة أو عمل خطة معقدة ، ولا حتى إلى قياسات منطقية ، بل بالأعمال يتحقق البرهان .

قد تقول انك عبد ، وهو عبد مثلك . أنت إنسان وهو أيضا إنسان . انك تعيش فى نفس العالم ، وتتنعم بنفس الأمور التى هى تحت السماء ، فكيف تعيش أنت فى الشر وأما هو فيحيا فى الفضيلة ؟!

✝ ✝ ✝

لماذا لا يفصل الله بين الصالحين والاشرار ؟

على هذا الأساس سمح الله للأشرار أن يختلطوا بالصالحين . ولم يعين عالماً خاصاً كمستعمرة للصالحين ، بل مزج هؤلاء بأولئك مقدماً نفعاً عظيماً .

١ – ربح الصالحين من الاشرار

فالصالحون يتزكون بالأكثر عندما يكونون فى وسط أولئك الذين يريدون أن يصدوهم عن حياة البر ، ويجذبوهم نحو الشر ، وبالرغم من هذا يتمسكون بالفضيلة .

يقول (الرسول) « لأنه لابد أن يكون بينكم بدع أيضاً . ليكون المزكون ظاهرين بينكم » ١ كو ١١ : ١٩ .

لهذا ترك الله الأشرار فى العالم حتى يزداد لمعان الصالحين . هل رأيتم عظم الربح ؟! لكنه لايعود هذا الربح إلى الأشرار بل إلى شجاعة الصالحين .

مثـــال :

لهذا السبب نعجب أيضا من نوح ، ليس لأنه بار ، ولا لأنه

وجد كاملا ، بل لأنه احتفظ بفضيلته وسط جيل فاسد وملتو . لم يكن له مثال فى الفضيلة (يقتدى به) بل كان الـكل يدفع به نحو الشر ، فسلك الطريق مناقضا الـكل . وكأنه مسافر يسلك طريقاً وسط جموع حاشدة تصده بشدة . لهذا السبب لم يقل عنه « كان نوح رجلا باراً وكاملا » فحسب ، بل أضيف أيضا « فى أجياله » أى فى جيل فاسد ومنحل حيث لا يوجـــد من يملك الفضيـــلة .

فبالنسبة للصالحين ، هذا هو ما ينتفعون به من الأشرار .

على أى الأحوال ، فإنه حتى الأشجار عندما تهاجمها الرياح المضادة تزداد قوة .

٢ – نفع الاشرار من الصالحين

هناك نفع للأشرار من مخالطتهم للصالحين . فإنهم يشعرون بالخزى ويكتنفهم العار ويستحون من حضرتهم . فإن لم يكفوا عن الشر ، فإنهم يرتكبون الشر الذى يتجاسرون عليه ، يرتكبونه خفية . وارتكاب الشر علانية ليس بالأمر البسيط .

إن حياة الآخـــرين (الصالحة) تتهم شرورهم . اسمع على

الأ قل ماذا يقولون عن الإنسان البار » بل منظره ثقيل علينا » حكمة ٢ : ١٥ . وهذه البداية للاصـــلاح بأن يعذبوا بحضوره ليست بقايلة . فلو لم يكن نظرهم البار يعذبهم ما كانت قد قيلت هذه الكلمات .

فإذ يكون الضمير منخوساً ومعذباً بحضور البار ، فإن هذا ليس بعائق قايل عن انكبابهم على الشر بلذة .

هل رأيت عظم الفائدة التي يجتنيها الصالحون من الأشرار ، والأشرار من الصـــالحين . لهذا فإن الله لم يفصلهم عن بعضهم البعض .

ليكن قصدك حسنا ... فلا تخاف حتى من الشيطان

لنطبق هذا البرهان أيضـا على الشيطان . فإن الله قد تركه هنا لكي نعود إلى حال أقوى ، لكي يجعل المصارع واضحـــاً والنزاع عظيما .

فعندما يسألك أحد : لمـاذا ترك الله الشيطان هنا ؟ أجبه بهذه الكلمات ، أنه ليس فقط لايؤذى الشيطان انسـاناً متيقظاً وحذراً ، بل ويفيده أيضاً ، ليس بقصد الشيطان (الشرير) ،

بل بسبب شجاعة ذلك الذى يستغل شر الشيطان استغلالا حسناً.

هكذا حتى عندما ثبت أنظاره تجاه أيوب ، لم يقصد أن يزداد أيوب شهرة بل أن يحطمه على هذا الأساس ، الشيطان شرير من جهة أفكاره ومقاصده . ولكنه لم يقدر أن يصد الانسان البار بل بالعكس فى المعركة إزدادت بهجة (أيوب) كما ظهر بعد ذلك . لقد أظهر الشيطان شره ، وأظهر الرجل البار شهامته .

قد يقول قائل : لكنه أسقط كثيرين . هذا بسبب شرهم وليس (لمجرد) قوته الخاصة ، وهذا يظهر من أمثلة كثيرة .

لتكن نيتك صالحة ، فلن يؤذيك أحد قط ، بل تنال ربحاً عظيما ، لا من الصالحين فحسب بل ومن الأشرار أيضاً . فإنه على هذا الأساس - كما سبق أن قلت - سمح الله للناس أن يبقوا مع بعضهم البعض وبالأخص الأشرار مع الصالحين ، حتى يجذبونهم إلى الفضيلة التى لهم .

الحاجة الى خميرة صغيرة

اسمع أخيراً ماذا يقول السيد المسيح لتلاميذه « يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها إمرأة وخبأتها فى ثلاثة أكيال دقيق » .

مت ١٣ : ٣٣ .

هكذا للأبرار قوة الخميرة فى تحويل الأشرار إلى سلوكهم (الصـــالح) .

الأبرار قليلون كالخميرة الصغيرة . إلا أن الصغر لا يضر بأى حال المجموع ، بل تحول الكميـة الصغيرة العجين كله بفعل القـوة الكامنة فيها . هكذا الأبرار قوتهم ليس من حيث كثرة العـدد بل بنعمة الروح القدس .

لقد كانوا اثنى عشر تلميـذاً . هل رأيت كيف كانت الخميرة صغيرة ؟ وكان العالم كله غير مؤمن . هل رأيت مقـــدار عظم المجموع ؟ ولـكن هؤلاء الإثنا عشر غيروا العـــالم كله إليهم (ليكونوا مثلهم) .

ان الخميرة والعجين من نفس الطبيعة ، لـكن ليس لهما نفس السلوك . لهذا ترك الأشرار وسط الأبرار مادام لهم نفس الطبيعة ، حتى يصير لهم نفس هدف الصالحين .

لمـاذا تتهم سيدك ؟

تذكر هذه الأمور ، حتى تسد بها أفواه الـكسالى والفاسقين

والمتراخين وكارهي أعمال الفضيلة ، هؤلاء الذين يتهمون سيد الكل .

أنت أخطأت . أصمت ، ولكن « إن أخطأت لا تعد تزيد أيضاً » ابن سيراخ ٢١ : ١ . فليست هناك خطية أشر من أنك بعدما تخطىء تتهم السيد .

إعرف علة الخطية فستجد أنه لم يخطىء إلا أنت .

فى كل وضع الحاجة إلى القصد الصالح . وأنا أظهر لكم هذا لا عقلياً فحسب ، بل وبأمثلة من العبيد رفقائكم السالكين فى العالم ذاته . استخدموا أنتم هذه الوسيلة أيضاً ...

هل أحد زان ؟ قدم له انسان آخر ضابط لنفسه .

هل أحد طماع وجشع ؟ أريه انساناً يعطى صدقات .

هل يعيش فى غيرة وحسد ؟ عرفه انساناً نقى من هذا الألم .

هل هو مغلوب من الغضب ؟ احضر إلى الوسط انساناً يسلك بحكمة .

ويلزمنا ألا نذكر مثلا قديماً ، بل ونقدم أمثلة من الوقت الحاضر ، لأن نعمة الله حتى اليوم تفعل أعمالا حسنة لا تقل عن القديم .

هل هناك شاك يظن أن الكتاب المقدس باطل؟ أفلا يصدق أن أيوب كان هكذا ؟ قدم له انسان يسلك مثل ذلك البار .

هكذا أيضاً عندما يديننا السيد ، فإنه يضع العبيد مع رفقائهم العبيد ، ولا يقدم عبارة حسب حكمه الخاص[1] ، حتى لا يقول أحد مرة أخرى كما قال ذاك العبد الذى لم يكن أمينا فى الوزنة فقدم اتهاما بدلا من أن يقدم وزنة ، قائلا « انك إنسان قاس » مت ١٥ : ٢٤ .

كان يلزمه أن يحزن لأنه لم يضاعف الوزنة ، لكن جعل خطيته أكثر خطورة ، بأن رد كسله الخاص واتهامه ضد السيد . لأنه ماذا قال ؟ « عرفت انك إنسان قاس » .

يا لك من إنسان بائس وشرير وناكر للجميل وكسلان !!

كان يلزمك أن تدين اهمالك . . . لكنك إذ تدين السيد تضاعف خطاياك بدلا من أن تضاعف وزنتك .

✝ ✝ ✝

---

(١) إنما يترك الأشرار يدانون بنظرهم الأبرار ، فلا يكون لهم حجة.

على هذا الأساس يترك الله العبيد مع بعضهم البعض ، حتى يدين البعض الآخرين . وإذ يدان الآخرون من بعض البشر لايعودون قادرين على اتهام السيد . لهذا يقول « فإن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته » مت ١٦ : ٢٧ . أنظر إلى مساواته للآب فى المجد ، بل يأتى فى مجد أبيه ، ويجمع كل الأمم .

الاختلاف بين الخراف والجداء

مخيف هو كرسى القضاء ، ومرعب بالنسبة للخطاة والذين هم تحت الدينونة. أما بالنسبة المتيقظين لأنفسهم بالأعمال الصالحة، فإن كرسى الحكم موضع شوقهم ويكون رقيقاً بالنسبة لهم .

« فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار» مت ٢٥: ٣٣ كلاهما بشر . فبالحقيقة لماذا هؤلاء خراف وأولئك جداء ؟ !

لا لكى نتعلم وجود فارق فى طبيعتهم ، بل بسبب اختلاف الهدف .

ولكن لماذا يحسب الذين لايظهروا حنواً جداء ؟ لأن هذا

الحيوان بالنسبة لأصحابه غير مثمر ، لا يساهم بنصيب لا من جهة إنتاج اللبن أو انجاب نسل أو من جهة الشعر (الصوف) ... فإذ ليس لهم ثمـــر قارنهم بالجداء . أما الذين عن اليمين فدعاهم « خراف » ، لأن هؤلاء تقدمتهم عظيمة ، من صوف طبيعى وانجاب نسل وإنتاج لبن. ماذا يقول لهم « لأنى جعت فاطعمتونى عطشت فسقيتمونى . كنت غريبا فآويتمونى » . مرة أخرى قال للآخرين العكس.

مع هذا فإن كلا الفريقين أناس متشابهون (كبشر)، وكلاهما نال نفس المواعيد ، ووضعت المكافأة للجميع ليصنعوا خيراً . وقد جاء نفس الشخص (الفقير) لهؤلاء وأولئك ، بنفس العرى، وجاءهم الجائع والغريب ذاته ... إن كل الأمور مشابهة بالنسبة لهؤلاء أو أولئك . فلماذا لم تكن النهاية واحدة ؟

لأن الهدف (ليس واحد) ...

على هذا الأساس فريق يذهب إلى جهنم والاخـــر إلى الملكوت . فلو كان الشيطان هو السبب فى ارتكاب الخطايا ، لما عين لهؤلاء العقوبة بينما (الشيطان) هو المخطىء والذى دفعهم (جبراً) نحو الخطية ...

الاختلاف بين العذارى الحكيمات والجاهلات

يقول بأن هناك عشرة عذارى (مت ٢٥) . هنا أيضا توجد أهداف مستقيمة وأخرى خاطئة ، كلاهما بجوار بعضهما جنبا إلى جنب ، خطايا البعض والأعمال الصالحة للآخرين ...

هؤلاء وأولئك كانوا عذارى .

هؤلاء خمس عذارى وأولئك خمس مثلهم .

الكل ينتظر العريس.

لماذا دخل البعض (العرس) والآخرون لم يدخلوا . إلا لأن البعض كانوا بخلاء (غير محبين) والآخرون نبلاء ومحبين .

ألا ترى أن الهدف وليس الشيطان هو الذى قرر مصيرهم .

هل ترى أن (الظروف) كانت مشابهة وأن القرار نتج عن أولئك المشابهين لبعضهم البعض . هوذا يدين العبيد ، العبيد رفقاءهم .

بين رجال نينوى واليهود الاشرار

هل تريد أن أورد لك مقارنة عن أمر متناقض ؟ .

أنه يقول « رجال نينوى سيقومون فى الدين مع هذا الجيل ويدينونه » مت ١٢ : ٤١ .

الذين يدانون ليسوا مشابهين للذين يدينونهم ، بل أحدهما أمم والآخر يهود .

واحد تمتع بالتعاليم النبوية ، والآخر لم يكن له نصيب فى التعاليم الإلهية .

وليس هذا هو الفارق الوحيد ، فإنه فى حالة (أهل نينوى) ذهب الخادم (يونان) كسيد (كان حديثه جافا) ، وأما ذلك (الإله المتجسد) فقد أعلن بشرى ملكوت السموات المفرحة . فنظن أيهما أكثر (قبولا للكلمة) ؟ البرابرة الجهلاء الذين لم تكن لهم شركة فى التعاليم الإلهية أم أولئك الذين قد تدربوا منذ العصور الاولى على الكتب النبوية ؟

من الواضح للكل أن اليهود كان يجب أن يكونوا أقرب إلى

الايمان ـ لكن حدث العكس . لقد رفضوا السيد عندما بشر بملكوت السموات ، أما (أهل نينوى) فصدقوا العبد زميلهم عندما هدد بالدمار .

هذا يعلن صلاح (أهل نينوى) وغباء (اليهود) فى درجة عظيمة .

هل الشيطان هنا (هو السبب) ؟ أم الحظ ؟ أم القضاء والقدر ؟ أليس كل منهما (الشعبين) هما السبب فى الشر أو الفضيلة ؟ !

بين ملكة سبا واليهود الجاحدين

فلو لم يكن لهؤلاء أن يدينوا ما قال عنهم انهم يدينون هذا الجيل ، وما قال بأن ملكة التيمن (South) ستدين اليهود لأنه ليس فقط سيدين شعب شعباً ، بل ويمكن لانسان أن يدين شعباً. وذلك عندما لاينخدع انسان كان يمكن أن يخدع ، بينما أولئك كان يمكنهم أن ينتفعوا ويرجعوا ومع ذلك يرفضوا ..

الاختلاف بين آدم وايوب

لهذا نشير إلى آدم وأيوب ...

حقاً لقد هاجم (الشيطان) آدم بالكلام المجرد ، أما أيوب فهاجمه بالأفعال. لأنه نزع عن واحد كل ثروته وحرمه من أولاده اما الآخر (آدم) فلم يأخذ كثيراً أو قليلا من ممتلكاته .

لنمتحن نفس الكلمات وطريقة الخطة . يقول (الكتاب) « فقالت (الحية) للمرأة أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة » تك ٣ : ١ .

هنا نجد حية أما بالنسبة لأيوب فنجد إمرأة . بمعنى أن هناك فارق بين مقدمى المشورة . احدهما حية ، والأخرى شريكة حياة الرجل (أيوب) ، أى معينتـــه ، أما الأولى فهى خاضعة تحت سلطانه .

هل كان لحواء عـــذر ؟

١ - حقا لقد خدعته حواء الخادمة فى الخضـــوع ، لكن (أيوب) لم تقدر أن تهلكه ولا حتى شريكته ومعينته .

أنظر ماذا تقول الحية « أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة » أنظر إلى لؤم الشيطان ، لقد قال بما لم ينطق به الله حتى يتعلم ماذا قال الله لهما .

ماذا فعلت المرأة ؟

كان يجب عليها أن تصمت . كان يلزمها ألا تبادلها الحديث ولكن فى غباء كشفت قول السيد ، وبذلك قدمت للشيطان فرصة عظيمة . . .

انظروا أى شر هذا ، ان نسلم نفوسنا فى أيدى أعدائنا والمتآمرين ضدنا ؟! لهذا يقول السيد المسيح « لا تعطوا القدس للكلاب . ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير (لئلا تدوسها بأرجلها) وتلتفت فتمزقكم » مت ٧ : ٦ . وهذا ما حدث مع حواء . لقد أعطت القدس للكلاب والخنازير ، فداست عليها بأرجلها والتفتت ومزقت المرأة .

٢ ـ أنظروا كيف عمل الشيطان شراً ، بقوله لها « لن تموتا » تك ٣ : ٤ .

إلتفت معى إلى هذه النقطة ، فإن المرأة كان يمكنها أن تفهم الخديعة . إذ أعلن الشيطان عداوته وحربه ضد الله ، مناقضاً كلمات الله . . .

قبل هذا القول كنت تعلنين (قول الرب) لمن يريد أن

يتعلم ، ولكن لماذا تستمرين فى الحديث مع من ينطق بما يضاد (قول الله) ؟! لقد قال الله « موتاً تموت». أما الشيطان فقد أجاب قائلا « لن تموتا » . هل توجد عداوة أكثر من هذه ؟ ! كيف يلزم على الإنسان أن يدرك العدو والخصم إلا من هذه الاجابة المناقضة لأقوال الله ؟! كان يجب عليها أن تتهرب للحال من الطعم (الذى فى الصنارة) ، وتتراجع عن الشبكة (المنصوبة) .

لقد قال « لن تموتا . بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله » تك ٣ : ٤ ، ٥ . لقد طرحت بالخير الذى فى يدها على رجاء نوال وعد أعظم. لقد وعدها بأن يجعلهما إلهين فطرحهما فى جور الموت.

كيف إذاً يا إمرأة تصدقين الشيطان ؟ أى خير تشاهدينه فيه ؟ ألم تكن ثقتك فى معطى الوصية كافية لتؤكد لك أنه واحد هو الله ، هو خالق العالم ومنظمه ، والآخر هو شيطان وعدو ؟ !

٣ - وأنا لا أقول شيطان ، فربما حسبته مجرد حية . فهل للحية أن تدعى المساواة (لحواء) حتى تطلب منها أن تعرف حكم الله ؟

ها أنتم ترون أن حواء كان يمكنها أن تعرف الخديعـــة ، لـكنها هى التى لم ترد لمن تعرف ، وقد وهبها الله أدلة كثيرة عن احساناته وأظهر لها عنايته بعمل يديه . فقد خلق الانسان الذى لم يكن له وجود من قبل، ونفخ فيه روحا ، وصوره على صورته وأعطـــاه سلطاناً على كل ما على الأرض ، ووهب له معينة ، وغرس له الفردوس ، وأوصاه أن يأكل من كل بقية الشجر غير أنه لايتذوق واحدة منها ، وهذا التحريم ذاته كان لأجـل خير الانسان . أما الشيطان فلم يظهر عملا صالحا ـ قليلا كان أم كثيراً بل أغوى المرأة بالـكلام المجرد ونفخها برجاء باطل ، وهكذا خدعها . ومع هذا فإنها نظرت إلى الشيطان على أنه موضع ثقة أكثر من الله ، مع أن الله أظهر إرادته الحسنة بأعماله .

لقد وثقت المرأة فيمن يمتهن الـكلام المجرد .

هل رأيت كيف حـدثت الغواية لا عن إلزام بالقوة ، إنما كـنتيجة للغباء والـكسل ؟ ولـكى تتأكد من هذا بوضـــوح ، إستمع إلى اتهامات الـكتاب المقدس للمرأة « فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل... فأخذت من ثمرها وأكلت » تك ٣ : ٦ .

فاللوم يلقى على عدم ضبطها للنظر وليس فقط على الخداع الذى بثه الشيطان .

لقد انهزمت من شهوتها المسيطرة وليس بسبب شر الشيطان لهذا لم يكن لها أن تنتفع بالاعذار،فرغم قولها « الحية غرتنى » إلا أنها سقطت تحت العقوبة تماماً . لأنه كان لها القدرة ألا تسقط .

موقف أيوب :

... بالنسبة لأيوب نصبت فخاخها بعد هلاك ثروته وفقدان أولاده ونزع كل ممتلكاته . أما فى الحالة الأخرى ، فإنه لم يعانى من دمار... بل كان قاطباً فى فردوس الترف، متنعماً بكل صنوف الفواكه والينابيع والأنهار . حيث لا تعب ولا ألم ولا يأس ولا اهتمامات ولا توبيخات ولا سب وغير ذلك من تلك الشرور التى أحاقت بأيوب ومع هذا سقط آدم وانهزم.إذاً أليس من الواضح أن سبب انهزامه هو تراخيه ؟!

أما الآخر فعندما أحفت به كل هذه وأثقلت عليه ، وقف ثابتاً فى نبل ولم يسقط . أليس من الواضح إذاً أن ثباته كان بفعل يقظة نفسه ؟

✝ ✝ ✝

لنقتد بأيوب المجرب

أيها الأحباء لنقتد بأيوب المجرب ، مجتنين أقصى ربح من كلا الحالتين (آدم وأيوب) ، متجنبين الاقتداء بآدم ، عالمين مقدار الشرور التى تتولد من التراخى ، وممتثلين بتقوى أيوب ، عالمين عظم الأمور المجيدة التى تنبع عن الغيرة (اليقظة) .

تأملوا ذلك الذى صار معدماً فى كل شىء ، فإنه سيكون مصدر تعزية بالنسبة لكم فى كل ألم وكل كارثة . إذ هو كمن يقف على مسرح العالم عامة ، ويتحدث ذلك الرجل المبارك النبيل مع الجميع عن الآلام التى احتملها ، حتى يحتملوا كل ما يحل بهم بنبل ولا يستسلموا للمتاعب التى تحف بهم . لأنه لا توجد متاعب بشرية لا نأخذ عنها تعزية من هنا . إذ المتاعب التى تبعثرت فى العالم كله ، نجدها قد تجمعت هنا فى جسد شخص واحد ...

١ – افتقر أكثر من الشحاذين

لنذكر تلك (الكارثة) التى تبدو للجميع أنها غير محتملة ، أقصد الفقر وما ينشأ عنه من ألم . لأنه فى مكان ينتحب الناس من أجل الفقر .

من كان أكثر فقراً من أيوب الذى افتقر أكثر من (الشحاذين) السالكين فى الطرق ... ؟! فهؤلاء لهم ثوب ممزق ، أما هو فجلس

عرياناً، إنما كان له ذلك الثوب الذى أمدته به الطبيعة، أى الجسد، وحتى هذا الثوب مزقه الشيطان من كل جانب، بل أصابه بالقروح.

هذا القطيع الفقير له على الأقـل أن يستظل تحت سقيفة فى الطرقات ولهم مأوى. أما أيوب فبقى لياليه فى العراء لاسقف له يأويه.

وما هو أشد من هذا ، أن هؤلاء (ربما) يشعرون بشرور مرعبة فى حياتهم (هى السبب فى التـأديب) ، أما هذا فـلم يكن يشعر بشىء فى داخله . الأمر الذى سبب له آلاماً مبرحة وأوجد فيه حيرة شديدة وذلك لجهله سبب ما حدث له .

قلت أن هؤلاء لهم ما يوبخون به أنفسهم، وهذه تساهم بتعزية ليست بقليلة فى أثنـــاء الـكارثة ، أن يشعر الانسان أنه يعاقب بعدل . أما أيوب فقد نزعت عنه كل تعزية ...

هؤلاء ... فقراء منذ بداية حياتهم فاعتادوا على ذلك . إنما هو احتمل الـكارثة التى لم يعتد عليها ، مختبراً الحرمان الشديد من الثروة (التى كانت له) . وكما أن معرفة السبب تعطى الانسان تعزية عظيمة ، فإنه ليس بأقل منها أن يكون الإنسان قد ذاق الفقر منذ البداية واستمر فيه .

لقد حرم هذا الرجل من كل هذه التعزيات ولم يقف أمره

عند هذا الحد ... نعم أنه بالحرى لم يكن له حتى فى سلطانه أن يتمتع بالأرض المجردة ، بل جلس فى مزبلة .

لذلك عندما ترى نفسك تفتقر تأمل ما احتمله هذا البار ، وللحال ترتفع وتنفض عنك كل قنوط ...

٢ - احتماله الآلام الجسدية

والكارثة الثانية بعدها - بل بالحرى قبلها (أى أشد من الفقر) ألا وهى آلام الجسد . من هو عاجز مثله ؟ من يحتمل أمراضاً هكذا ؟ من يعانى ، أو رأى إنسانا يعانى من آلام مبرحة كهذه ؟ لا أحد . لقد كان جسده يخور شيئاً فشيئاً ، وعواصف القروح تهب عليه من كل جانب ، فى كل أطرافه . . . والرائحة الكريهة تحيط به بعنف ، والجسد يتحطم قليلا قليلا وتصيبه العفونة ، لهذا صار الطعام بالنسبة له لا طعم له ، أما الجوع فصار غريباً وشاذاً بالنسبة له . فلم يكن فقط غير قادر على التمتع بالقوت الذى يعطى له ، بل قال عنه « خبزى الكريه » أى ٦ : ٥ .

« أيها الانسان ، ان سقطت فى ضعف أذكر ذلك الجسم المقدس لأنه كان مقدساً ونقياً حتى عندما أصابته جروح كثيرة !!

... وان أخذ إنسان ظلماً بغير ذنب ، ووضع فى حناك[1]

(١) آلة تقمط على العنق واليدين (pillory) .

وقطعت أعضاؤه إلى أجزاء ... فلينزع آلامه بتذكره هذا القديس.

لكن ربما يقول قائل : لكن هذا الإنسان كانت له راحة عظيمة وتعزية، لأنه يعلم أن الله هو الذى جلب عليه هذه الآلام.

بالحقيقة هذا كان يقلقه بالأكثر ويضايقه ، أن يفكر فى الله العادل والذى يخدمه بكل الطرق يحاربه . ولم يكن لديه علة مقبولة لما حدث. لذلك عندما علم أخيراً السبب ، أنظر أى ورع أظهر... انه يقول « وضعت يدى على فمى. مرة تكلمت فلا أجيب ومرتين فلا أزيد » أى ٤٠ : ٤، ٥ . ومرة أخرى يقول « بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأتك عينى . لذلك أرفض وأندم فى التراب والرماد » أى ٤٢ : ٥ ، ٦ .

ولكن إن حسبت أن هذا كان كافياً للتعزية ، فإنك تستطيع أنت أيضاً أن تختبر هذه التعزية . لأنه وإن لم تعانى من هذه الكوارث (من يدى الله) لكن كنتيجة لعجرفة البشر ، قدم التشكرات لله ولا تجدف عليه هذا الذى هو قادر أن يمنعهم عنك فتحصل على نفس المكافأة ...

٣ - احتماله موت اولاده

... هل تريد أيضاً ان أريك القتال فى أيدى الطبيعة التى ثارت ضد هذا النبيل بدرجة زائدة .

لقد فقد أولاده العشرة، الكل اكتسحوا دفعة واحدة، والكل في ريعان شبابهم، والعشرة كانوا فضلاء، ولم يموتوا موتاً طبيعياً بل موتاً قاسياً يرثى له. من يقدر أن يعبر عن كارثة كهذه؟! لا أحد.

عندما تفقد ابناً وابنة في وقت واحد، تطلع إلى هذا البار فتجد عزاء عظيما لنفسك.

٤ — احتماله سخرية البشر

... وكان أيضاً هروب أصدقائه منه واستهزائهم وسخريتهم وتهكمهم وتجريحهم له أمراً لا يطاق. فإن آلام الكارثة لا تعادل تلك التي من أولئك الذين يوبخوننا ونحن في كارثتنا ...

ليس فقط لم يوجد من يلطف الكارثة، بل الكل كانوا يقرعون به. وها أنت تراه ينتحب بمرارة قائلا لهم أنهم هم أيضا يعذبونه (أى ١٩: ١). وقد دعاهم غير رحماء بقوله « أقاربي قد خذلوني والذين عرفوني نسوني. نزلاء بيتي وإمائي يحسبونني أجنبياً. صرت في أعينهم غريباً. عبدي دعوت فلم يجب. بفمي تضرعت إليه[1] » ى ١٩ : ١٤ - ١٦.

ويقول أيضا أنه صار موضع حديث الكل يتسلون به (أى ١٩: ٩، ١٠). بل ويقول « حتى تكرهني ثيابي » أى ٩ : ٣١.

(١) استحسنت ذكر النص كاملا.

٥ – احتماله أهوال الليل

لم يجد أيضاً راحة حتى بالليل،فإن أهوال الليل المرعبة أقسى من مصائبه بالنهار... «ترعبنى بالاحلام وترهبنى برؤى» أى ١٤:٧.

أى رجل من حديد، أو قلب من فولاذ حتى يحتمل هذه المصائب جميعها؟! ان كان كل كارثة لا تحتمل على حدة... ومع ذلك احتمل الكل. وفى كل ما حدث له لم يخطىء ولا نطق على شفتيه بشر.

انت بلا عذر

لتكن آلام هذا الرجل أدوية لامراضنا، وأمواج بحره الهائج ميناء لاتعابنا، ناظرين إلى هذا القديس فى كل مايحدث لنا، فنراه يعلو على مصائب الحياة، فنسلك نحن بشجاعة.

ولكن إن قلت: انه أيوب!! ولذلك احتمل كل هذا.أما أنا فلست مثله. فإنك بهذا تمدنى باتهام عظيم ضدك ومديح جديد له. لانه كان الاجدر بك أن تحتمل أكثر منه.

قد تسألنى: لماذا؟ لانه كان أيوب فى عهد ما قبل النعمة وقبل الناموس، حيث لم تكن هناك حياة محددة ولا أعطى نعمة للروح القدس العظيم، عندما كان يصعب محاربة الخطية، وكانت اللعنة سائدة والموت مرعباً.أما الآن فقد صرت المصارعة أسهل،

وهذه الأمور (اللعنة) استبعدت بعد مجىء المسيح، حتى أنه
لنا عذر إن لم نصل إلى مستواه ، بعد طول زمن ومزايا كل
نلناها ، وعطايا وهبها الله لنا .

إذاً بالنظر إلى كل هذه الأمـور ، انه كان الخصم أكـ
خطورة والانسان أعزلا أمام عدوه (الشيطان) فعلينا أن نحـ
بقبل كل ما يحل بنا ، شاكرين على ذلك ، حتى يمكننا أن نحصـ
على نفس الإكليل الذى لأيوب ، بنعمة ورأفة ربنا يسوع المـ
الذى له المجد مع الآب والروح القدس الآن وكل أوان وإلى ا
الآبدين . آمين .

✝ ✝ ✝

أودع بدار الكتب تحت رقم ٣٤٩٤ لسنة ١٩٧٢

يطلب من مكتبة كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس باسبورتنج

ص
٥ر٦

مطبعة الكرنك ٦٨ شارع السبع بنات ت ٢٢٩٨٠ اسكندرية